

اقْبَلْ بَرَكَهَ

حبّصة

دار فضاء للطباعة والنشر والتوزيع
عبد الوهاب محمد

9015244

Bibliotheca Alexandrina

فضيلة

فضيلة

أقرب البركة

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبد الله غريب

الكتاب : فضفضة

المؤلف : إقبال بركة

تاريخ النشر : ١٩٩٩م

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عمده غريب

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

تليفاكس : ٢٤٧٤٠٣٨ ، ت : ٢٤٦٢٥٦٢

التوزيع : ١٠ شارع كامل صدقي الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

المركز الرئيسي : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1)

ت : ٣٦٢٧٢٧ / ١٥ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

رقم الإيداع : ٩٧/٩٠٢٥

الترقيم الدولي : ISBN

977-5810-53 - 1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفضفضة .. لماذا ؟!

لم يبق لنا سوى الفضفضة . نحن النساء المهمشات،
المبعدات بقرار همايوني ، عن المشاركة، وعن الصدارة .

والفضفضة نوع من البوح العلني، أو بكلمات العصر
الحديث نوع من التعبير عن الذات يلجأ إليه المظلومون
والمحرومون من حق التعبير عن الرأي. أما حق الكلام فلا
أحد يملك أن يمنعه عن أحد .. والكلام هنا من القلب، بلا
زواق، ولا خوف ولا مجاملة . كلام صادر عن قلب محروق،
يعشق بلده، ولكنه يراها غافلة عنه، ويраهم لا مباليين .

كلام صادر عن عقل تفتح على الثقافة العربية وتشرب
الثقافة الغربية، واكتسب خبرة ومران في الحياة العملية،
وأدرك أن الشعب، أي شعب، لا يمكن أن يرتقي بينما نصفه
مكبل بأغلال وهمية . والنصف الآخر مكمم الأفواه .

المؤسف أننا نحن الذين نضع أنفسنا في الأصفاد،
ونتطوع بتكميم أفواهنا وأفواه الآخرين ..

نحن الذين نهوى سجن أفكارنا في أقفاص حديدية،

وعندما تتطلق تكون على شكل شائعات وأقاويل ..

وقد نشرت الفضفضة في مجلة روز اليوسف منذ عدة أعوام في الفترة من أكتوبر ١٩٩١ إلى منتصف عام ١٩٩٣، حتى تعييني رئيسة لمجلة حواء بدار الهلال .. نشرت دون أي تدخل من أي رقيب .. وقراها عشرات الآلاف، ووصل صداها إلى المسؤولين وهالئذا أعيد نشرها في كتاب .. لكي أشجع الجميع على أن يطلقوا سراح أفكارهم، ويحرروا آراءهم بصدق وشجاعة .. فالفكر مثل الكائنات الحية يحيا ويتنفس ويزدهر كلما تعرض للهواء الطلق وللشمس .. وينكمش ويشيخ ويفسد كلما حبس في الظلام .

"أقبال"

مُتَلَمِّمَاتُ

المرأة المصرية محبوسة قهرا فى خانة المعارضة .
فالحكومة تعتبرها أقلية ولا تمد يدا لمساعدتها على تخطى
عوائق المشاركة السياسية .

والمجتمع بأسره لا ينتظر منها رأيا، وإن صدر فلا يعتد
به، وإن اعتد به فمن باب المنظرة وادعاء المعاصرة
والتحضر .

مئات المؤتمرات والمهرجانات والندوات واللقاءات
وعشرات اللجان التى تجتمع وتتفرض وتصدر توصياتها دون
أن تشارك فيها المرأة، وإن شاركت فبنسبة واحد بالمائة ..
وذرا للرماد فى العيون .

فالمرأة المصرية غائبة عن الساحة السياسية وعن صنع
القرار مع سبق الإصرار والترصد .. ويكل أسف هى تشارك
فى هذه الجريمة دون أن تدرك .. تشارك فيها عندما تدير
ظهرها للسياسة مع أن السياسة هى المدرسة والمستشفى
ورغيف العيش والدروس الخصوصية والبيوت التى تتهدم على

رؤوس ساكنيها والمواصلات المزحمة ... إلخ .

وهذه كلها تمثل مفردات المعاناة اليومية فى حياتنا جميعا .. نساء ورجالا .. ولكن المرأة المصرية تعودت على الكسل .. أن تترك مصيرها معلقا فى أيدي الآخرين .. ثم تتباكى وتتشاكى وتذرف الدموع .. ولكم عانيت وزميلاتى فى النشاط النسائى من جميع النساء ومحاوله لم شملهن وتشجيعهن على إبداء الرأى وإظهار القوة والمطالبة بالحقوق .. محاميات وطبيبات وأستاذات فى الجامعة وعاملات فى المصانع وبائعات فى المحلات .. كلهن يعانين من عشرات المشاكل كلهن يشعرن بالظلم الواقع على المرأة المصرية ويتألمن لتجاهلها فى المحافل الكبرى .. فى جوائز الدولة ومجالسها ولجانها ومناصبها .. كلهن يرين تماما حجم وكم معاناة المرأة، ومع ذلك فعدد قليل جدا منهن يقبلن على الانضمام للأحزاب أو للجمعيات الأهلية، وعدد أقل يقبل على المشاركة فى الندوات أو المؤتمرات والحجة التى يترعن بها هى ضيق الوقت .. فهوموم العمل ومشاكل إدارة البيت والإشراف على تربية الصغار تلتهم كل ساعات النهار، ثم

يأتى التليفزيون لينقض على ساعات الليل الباقية .

وهكذا تبدو مصر أحيانا وكأنها مملكة للرجال .. توجد
بينهم بالصدفة بعض النساء .

ولا يبقى لنا نحن النساء المهمومات بقضايا الوطن إلا
الفضفضة .. وذلك قبل أن نتراكم الهموم على القلب ويحدث
الانفجار .

ولهذا كان اختياري للفضفضة عنوانا للصفحة التى كنت
أحررها فى الشقيقة روز اليوسف قبل أن أسلم مسئولية تحرير
"حواء" كان القراء يتابعون فى "الفضفضة" وجهة نظر امرأة
مصرية ترفض التهميش، وتصبر على إيذاء رأيها وإعلان
وجهة نظرها فى كل ما يدور فى البلد من أحداث . وسواء
اهتم المسؤولون بتلك الآراء أو لم يهتموا، فإن الفضفضة ظلت
تنشر بانتظام، وظل صوتها يرتفع، واحتجاجها يعلو لدرجة أن
بعض المحافظين وبعض الوزراء احتجوا، ولكن بلا جدوى ..
ومضى أولئك المسؤولون .. وبقيت الفضفضة .

وها هى "الفضفضة" تصدر فى كتاب عن دار قباء
للنشر والطباعة، ولعلها تجد مكانا بين سطور التاريخ لتسجل

أن المرأة المصرية لم تكن أبدا صامتة ولا غافلة عما جرى
فى بلدها .. وأن قرارها السياسى كان مستقلا، وكان حرا،
وكان نزيها مجردا عن الهوى .. ولا هدف سوى خدمة
مصر والارتقاء بها، وتضيد جراحها وفرش طريقها
بالزهور والحناء .

واليوم .. أدعو كل كاتبة عربية لرفع لواء الفضفضة ..
ارفعى صوتك .. تكلمى .. طالبى بحقوقك .. ارفضى الظلم ..
اقترحى الحلول للمشاكل .. افتحى قلبك وأخرجى ما به من
آلام وأحلام واعرضيها على الملأ .. اعتقى أفكارك من أسر
الخوف .. فالجنين الذى يبقى أطول مما يجب فى رحم الأم
يخرج منه ميتا .

ولا نريد مزيدا من الأجنة الميتة أو المشوهة فى أرحام
النساء العربيات .

وأهلا بالفضفضة .

المخدرات والشبهات

أقترح على أعضاء مجلس الشعب العشرة المتهمين بالإتجار في المخدرات أن ينظموا لنا نحن أبناء الشعب الغلبة ندوة يحدثوننا فيها عن قصص كفاحهم .. وإذا كانوا بالفعل أبرياء من تهمة الإتجار في المخدرات، فلا بد أن تكون قصص حياتهم التي ارتفعوا فيها من الفقر إلى قمة امتلاك ملايين الجنيهات .. لابد أن تكون هذه القصص جميعا مثيرة للإعجاب، تصلح لأن تكون موضوعات لعشرات الأفلام والمسلسلات والمسرحيات .. إلخ .

نريد أن نعرف نحن الأغبياء الذين لم نستطع أن نحقق ثروة تزيد على بضعة آلاف من الجنيهات، كلما أمسكنا بها طارت في الهواء بفعل رياح الغلاء وعواصف الزمن .. نريد أن نعرف وأن نتعلم كيف يصبح المرء مليونيرا في بلد يقترض لبشئى اللقمة لأبنائه ويعيش على المعونات الأجنبية ويخفض رأسه لشروط البنك الدولى وصندوق النقد كى يمر من أزمة اقتصادية طاحنة ..

هل يعيش هؤلاء الأفاذاذ فى بلد، ونعيش نحن فى بلد آخر ؟!

هل عثر أى منهم على مصباح علاء الدين، على كنز سحرى ماء، على جراب جودر، على كهف عصاة على بابا .. أو على ماذا ؟!

ولو كنت من أعضاء اللجنة التشريعية بمجلس الشعب الذين

فضفضة

صدعوا رؤوسنا بحديثهم عن سيادة القانون وتأكيد الضمانات التي نص عليها الدستور لحماية الحقوق والحريات الفردية، لوجهت طاقتي واهتمامي لأبناء الشعب الغلبة الذين تحققت هذه الثروات الطائلة على حسابهم بكل تأكيد .

نحن لا نشك في أعضاء هذه اللجنة بل نحمل لهم كل التقدير، ونعترف بالقضاء المصري ونعتبره حصنا آمينا لكل المصريين، ونحن لا نطالبهم بإسقاط العضوية عن الأعضاء دون أدلة دامغة على إدانتهم .. ولكننا نتمنى أن يمتد حرصهم على تأكيد المبادئ الدستورية الخاصة بالحريات إلى كل المواطنين الشرفاء، وخاصة أولئك الذين كثيرا ما أخذوا بالشبهات فاعتقلوا وعذبوا وانتهكت حرياتهم وكرامتهم لمجرد اختلافهم في الرأي مع بعض السلطات الحاكمة .. والقائمة بين زملائنا الشعراء والكتاب والصحفيين جاهزة للعرض على كل من يهمه الأمر .

إننا لم نسمع عن أى إجراء اتخذته أعضاء اللجنة الموقرة احتجاجا على اعتقال زملاء لنا أخذا بالشبهات وبناء على تقارير التحريات .. وخاصة أن هؤلاء عانوا الأهوال وخرجوا من السجون ولم تفلح جهات التقارير إياها في إثبات أى تهمة عليهم .

فهل هناك تفرقة عنصرية بين التهم بحيث تعتبر تهمة الإتجار في المخدرات جديرة بالاهتمام ومساندة المتهمين وتعتبر تهمة الاختلاف في الرأي السياسى تهمة شنيعة يجب أن نتغاضى عما يحدث لضحاياها وننظاها بالجهل وضعف الإبصار والسمع ؟!

فضفضة

ألم أن هناك تفرقة عنصرية بين أعضاء مجلس الشعب أصحاب الحصانة، وأبناء قبيلة الفكر والرأى الذين بلا حصانة !!

الواضح أن مجلس الشعب لا يعتبر الإتجار فى المخدرات جريمة، بدليل أنه لم يحل الأعضاء العشرة إلى النيابة، ولكن قور أن يجعل "زيته" فى "دقيقه" ويحيلهم إلى المدعى الاشتراكى الذى يتبع مجلس الشعب ويخضع له ..!

ورفض المجلس أن يرفع الحصانة الدبلوماسية عن الأعضاء بحجة أن أحدا لم يطلب منه ذلك ؟! وكان عشرات الأقلام التى طالبت والحت فى مختلف الصحف القومية والمعارضة بذلك ليس لها قيمة..! وأغلب هذه الأقلام لكتاب كبار لن يتورعوا عن الكشف عن الأدلة الدامغة التى قدمت لهم، بل ولن يكتبوا فى هذا الموضوع أصلاً ما لم يضعوا أيديهم على مستندات لا يرقى إليها الشك ..

وأغرب ما قيل فى هذه القضية على الإطلاق هو ما جاء على لسان بعض أعضاء اللجنة التشريعية من أن حسن السمعة ليس شرطاً من الشروط التى يجب توافرها فى عضو مجلس الشعب .. ما دام الدستور لم ينص على هذا !!

أتمنى من الأعماق أن تثبت براءة النواب العشرة حتى لا تهتز ثقة الناس فى مجلس الشعب ونوابه، وحتى يثبت للجميع مدى فساد أجهزة التحريات المختلفة وعدم جدوى وجودها .

من أجل عيون حورس

لو كنت من أبطال لعبة كرة القدم العربية لا عتزلت اللعبة واحتجبت عن الأنظار . لقد كشفتهم الدورة الأفريقية وفضحت الخدعة التي عشنا نعانى منها عقوداً طويلة .

اتضح أن فى مصر فهوداً ونموراً وتماسيح وصقوراً على أعلى مستوى حققوا لنا الانتصار الساحق ورفعوا رؤوسنا وأعادوا البسمة إلى شفاهنا والأمل الحلو إلى قلوبنا ..

ولقد انتهت الدورة الأفريقية على أكمل وجه متوجة بالحفل الختامى الذى أدار رؤوسنا وبهرنا وأسعدنا سعادة لم نذقها منذ سنوات طويلة .

انتهت الدورة والحمد لله وسوف يسعى أعداء النجاح للبحث عن "القطط الفاطسة" "فعين البغض" كما يقول الشاعر "تبدى المساويا" وسوف يقولون ويعيدون ويلتون ولكن نحن سعدنا بالدورة إلى أقصى حد، وتابعناها بشغف وفرح . يكفى أنها أنقذتنا من العديد من البرامج التليفزيونية التى تكرر بعضها والمسلسلات المتهافئة التى يسدون بها فراغا غير موجود .. ويكفى أنها جعلت بناتنا وأبنائنا يكتشفون أبطال مصر الحقيقيين ويصبح لكل منهم قدوة يتمنى أن يقلدها .. أصبحت أسماء عظيمة مثل رمضان وبسيونى والبندارى وكحلة وحسونة وسعيد خليل تتردد على الألسنة ويتلف الجميع على ازدياد التعارف بهم وسماعهم .

فضفضة

صرنا نسمع خناقة بين أولادنا أحدهم ينتصر لقبارى عبدالكريم
والآخر لمصطفى القلبنى، وقررت بنات كثيرات أن ينضممن لفرق
السباحة ليصبحن مثل الجميلات الرائعات ريم الدسوقي والمعجزة
رانيا علوانى وسالى عبدالرؤوف ومريت وليم وهبة النجار ومريم
سمير .. أو لألعاب القوى ليصبحن فى رشاقة حنان خالد .

لن تردد فتياتنا للصغيرات بعد اليوم أن أمنيتهن فى الحياة أن
يصبحن راقصات هز بطن، ولن يخطيء أطفالنا أبدا عندما نسألهم
عن المستقبل وكانوا من قبل يقولون بلا تردد : عاوز اطلع
حرامى !!..

كنا نضحك من براءتهم وعيونا تدمع من الأسى، فالفدوة غائبة
والأولاد لا يسمعون إلا عن أبطال الأفلام المصرية الهابطة الذين
يحققون الملايين من بطولة حفنة أفلام !!

انتهت الدورة بزفرة حارة لأننا نعلم أنها سوف تتحول إلى مولد وقد
انفض . والمفروض أن تكون بداية لعصر جديد فى حياتنا. لقد وضع
الساحر عمارة يده على الحل الأول والأخير لكل مشاكل شبابنا : التطرف
والإرهاب والإيمان .. بضربة واحدة وقضى عمارة ورفاقه على البيئة
الملوثة التى تنمو فيها هذه الوحوش وتترعرع : للفراغ .

عندما نحرم أبناءنا من الأنشطة الرياضية والفنية والثقافية
المكثفة فى المدارس والجامعات، فإن النتيجة الحتمية التى لا مفر منها
أن طاقاتهم الإبداعية تتبدد وتتحول مع الوقت إلى طاقات هدامة،
ترتمى فى أول حضن ملوث يفتح لها .

فضفضة

أتمنى أن يعود أسبوع شباب الجامعات وأسبوع المدارس، الآن بعد أن انقضا قرابة نصف مليار جنيه على الإنشاءات الرياضية .. وأتمنى ألا ينسى التلفزيون أبطال للعبات الفردية الذين تألقوا وبرزوا أثناء الدورة فزاهم كثيرا بعد ذلك .. ونعرف قصصهم وكيف صمدوا للتجاهل الإعلامي والظلم الفادح من المسؤولين وظلوا يتدربون حتى انتزعوا لمصرنا الحبيبة ذلك العدد الضخم من الميداليات الذهبية التي لم تصل إليه أية دولة أخرى في الدورة كلها .

أبطال رفع الأثقال والمصارعة الرومانية والسباحة والرماية والكراتيه والتايكوندو والجودو والجمباز وألعاب القوى والملاكمة .. هؤلاء هم نجوم مصر التي يجب أن تتلأأ وتضئ سماء حياتنا وتصبح قدوة لأبنائنا ..

وتحية للمايسترو البارع عمارة، ولكل الفريق الذي ساندته بحب وتفان وعلى رأسهم الدكتور ممدوح البلتاجي الذي قدم للإعلاميين خدمات إعلامية غير مسبوقه أما فريق المخرجين والفنيين في التلفزيون الذين قادهم المخرج الكبير يحيى العلمي فنقول لهم شكرا .. لقد اعدتم الثقة إلى هذا الجهاز السحري الخطير .. وامتعتمونا .

عبقرية "قاف" "عين" !

كثيرة هي الوسائل التي يستخدمها التجار الشطار لترويج بضاعتهم . فالتجارة كما يقال شطارة . والشطارة كلمة مطاطة، تحوى معانى عديدة منها : اللحظة، و "الخفية"، واستخدام شتى لأساليب الترغيب .. وأيضا بعض للنصب والاحتيال .

ونحن المستهلكين للغلبة نتقبل بعض هذه الشطارة عن طيب خاطر، وأحيانا ندرك اللعبة ولكننا "نبلعها بمزاجنا" . ولكن هناك أنواعاً أخرى من "الشطارة" التي تستوقفنا، لأنها تستفزنا وتثير الغيظ فى نفوسنا، بل وتشعرنا بأن هناك من يستهين بعقلياتنا، ويحاول أن يستغفلنا .

من النوع الأول من الشطارة ما يدخل فى نطاق البروباجندا، التى تعارف عليها الناس فى شتى أنحاء العالم . بنات جميلات يظهرن على الشاشة وبأسلوب الغمز واللمز، والترقيص (كل شئ ابتداء من الحواجب حتى الخصور) يعلن لنا، بمصاحبة لحن خفيف أن هذا المنتج هو الأفضل، والأجود، والأرخص ... وما إلى ذلك من أفعال التفضيل .

وكثيرا ما تستخدم كلمات مثل "الوحيد" أو "الأول"، وتضاف من الصفات ما أنزل الله بها من سلطان .

ماشى .. لامانع .. فهم يقولون، ونحن نستمع ثم نجرب، فإذا

فضفضة

ما صدق كلامهم عدنا إلى بضاعتهم، وإذا لم يصدق .. هجرناها إلى الأبد .

أما النوع الثاني من الشطارة . غير المستساغة، فهي ما تفرضه علينا بعض محلات القطاع العام من أحكام وفرمانات ..

لقد فهم المسؤولون في هذه المحلات نظرية القطاع العام خطأ . فما دام هذا القطاع يخضع للرقابة الحكومية، وليس له صاحب .. فهو إذن حكومة . والحكومة في عرف هؤلاء تعنى السلطة المطلقة .. إذا ما قالت شيئاً، لابد أن يقول الناس آمين ..

وهكذا راح أولئك العباقرة ماركة قاف عين يفكرون ويفكرون حتى تفتت أذهانهم عن ألوان عجب من أساليب ترويض البضاعة الكاسدة ..

تدخل مثلاً أحد فروع الجمعية التعاونية، يسمى الآن سوبر ماركت، دليل الشبكة والرقى .. تطلب كيلو لحمة فيقول لك للبائع : آسف لا يوجد سوى هذه العبوات الجاهزة ويكل منها ثلاثة كيلو على الأقل ..

وبنظرة واحدة تكتشف أن العبوة ليست بها سوى كيلو لحمة واحد صالح للأكل والباقي شغت ودهون .. والبيض على الرغم من ارتفاع سعره الجنوني لا يباع إلا بالكرتونة .. وعبوات أرز فاخر "منقى اليكترونياً" وأعلى من سعر الأرز العادى .. ولكذك تفتح للعبة فترى انك خدعت وإلى جانب الحجارة الصغيرة هناك أيضاً السوس ..

والأمثلة لا حصر لها .

فضفضة

وهى تدل على أن عباقرة القاف عين يعيشون فى واد وأبناء مصر، بل والعالم كله فى واد آخر . ففى بلاد أخرى أكثر ثراء رأينا الفاكهة والخضروات تباع بالواحدة وشاهدنا أكياس قطع الفراخ المنفصلة .. وقطع اللحم الاستيك أو الريش بالواحدة .. الخ .

كل إنسان يشتري ما يحتاج إليه فقط، ويعامل كما لو كان مليونيرا جاء ليشتري المحل كله .

والمطلوب الآن من عباقرة القاف عين أن يكونوا واضحين معنا ويصارحونا : هل هى عملية تطفيش !!

ألم يبلغهم بعد نبأ المنافسة الخطيرة التى تواجههم من القطاع الخاص الذى بدأ يتنبه لمتطلبات العصر ويطور نفسه ويجذب عددا أكبر من الزبائن !!

ألم يدركوا بعد أن الأساليب القديمة التى كانوا يتبعونها يوم كانوا يحتكرون السوق ويصولون ويجولون ويفترون على راحتهم قد انتهى .. وإن التركى الذى كان يتحكم فى خلق الله فى أمرهم أن يشربوا من هذه القلة ويتركوا تلك .. لا شىء إلا ليؤكد سطوته .. قد مات وشبع موت .. وأن مصر الآن أصبحت دولة مستقلة وشعبها حر .. يشتري ممن يشاء .. ويترك من لا يشاء ليفلس ويغرق .. ولن يكلفه ذلك سوى نقطة واحدة يضعها فوق حرف واحد لتصبحوا قاف غين (قطاع غرق) بدلا من قاف عين (قطاع عام) !!!

"فخصصنى" يا جدم ..

"إن فانتك الميرى، اتمرغ فى ترابه".

قول مأثور كان أجداننا وآباؤنا يرددونه، وكبرنا نحن وتعلمنا
ثم رحنا نتلفت حولنا بحثا عن الميرى قلم نجد إلا ترابه ! لذلك بدأنا
نتندر بسذاجة أجداننا، ونسبنا الميرى تماما .

ومرت الأيام، وإذا بنا نكتشف أننا نحن السذج، وأن هناك
آخرين عرفوا تماما قيمة الميرى وأدركوا جيدا من أين "تؤكل كتفه"،
وبقدرة قادر استطاعوا أن يحولوا ترابه إلى ذهب خالص .

هؤلاء العباقرة لا يتربعون عادة فوق قمة الميرى، فالقمة تسلط
عليها الأضواء وتتبعها العيون، وهم يكرهون الأضواء ويعشقون
الظلام، لذا فهم يفضلون المواقع القريبة من القمة، وراءها أو تحت
قدميها، المهم أن يستظلوا بظلها ويحتموا بحماها .

أخيرا سلطت الأضواء على مجموعة من هؤلاء .. فإذا بنا
نقرأ العجب .. ونتابع ما هو أكثر إثارة ألف مرة من أشهر
المسلسلات التلفزيونية .

انفتحت مغارة الميرى على البهلى، فإذا بأصحاب مناصب
رفيعة، ومسؤولين وجهاء، وأطباء، وحملة ألقاب الدكتوراه يتحولون
بقدره قادر إلى حرامية ونصابين ومختلسين ومرتشين، ويكونون
عصابة تتوارى أمامها عصابة الأربعين حرامى فى حكاية على بابا

فضفضة

الشهيرة خجلا .. فهو لاء لصوص مثقفون، يعرفون من الحيل
والألاعيب ما لا يخطر على البال .

ولأننا نعيش في مصر المحروسة، فقد كانت العصابة الميرى
تتحرك بأمان واطمئنان تحسد عليه، ويتبجح رئيسها فيعقد المؤتمرات
الصحفية ويدلى بالأحاديث التي تشيد بالنزاهة وتهدد بالويل والثبور
وعظائم الأمور لكل من تسول له نفسه أن يمد إصبعاً ليسرق حفنة
ردة من أى مخبز "وطنى" .

والعصابة معذورة، فقد كانت كل تحركاتها فى العلن .. كل ما
هنالك أنهم انتهبوا فرصة ذهبية قد لا تتاح لفرد واحد فى حياته سوى
مرة واحدة .. هذه الفرصة تسمى على سبيل الدلع "بالخصخصة"، وقد
فهمها هؤلاء على أنها تحويل أملاك القطاع العام وأموال الحكومة
وقوت الشعب إلى ملك خاص لهم ولأولادهم وأصدقائهم وكل من
يتستر على أفعالهم .

رفع شعار "الخصخصة" من هنا، ونشط هؤلاء فى محافظتهم
ليحولوها إلى إقطاعية .. وهات يابيع .. كل ما تقع عليه عيونهم من
ثروات مملوكة للشعب باعوها بنصف الثمن، وأحياناً بأقل مما كانت
تحقق من أرباح فى العام الواحد : مطاحن، مخابز آليّة، مصانع
السجاد والطوب والأسمنت والعلف، مزارع الدواجن .. الخ تحولت
إلى أسلاب وغنائم .. أو كما صاح على بابا صيحته الشهيرة : دهب،
ياقوت .. مرجان ..

أحمدك يارب .

كان على بابا سانجا، فأقل على الحرامية وحبسهم داخل القدر . أما على بابا الميرى فقد أطلق سراحهم وعينهم أعضاء مجالس إدارات للمشروعات "الوطنية" التي أسسها مع شركائه، واستعان بهم في البنوك ليسهلوا له الحصول على ملايين الجنيهات كقرض بفائدة ٧% ، وليودعه في بنك آخر ويحصل منه على فائدة ١٧% .

وابتكر على بابا الجديد أساليب متعددة للسلب والنهب، مثل الاستيلاء على أرض زراعية وتبويرها بحجة إقامة مزارع سمكية عليها، ومثل الحصول على المواد المدعمة كالردة لمصنع لا يستعملها، ثم بيعها في السوق السوداء بأضعاف للثمن، ومثل إرغام المخابر على شراء دقيق ملئ بالسوس والديدان وتحويله إلى خبز فاسد .

ولقد كان على بابا في حدوته ألف ليلة رجالا أنانيا احتفظ بثروة الحرامية لنفسه، أما على بابا الميرى فقد كان متعاوناً إلى أقصى حد مع أمثاله من هواة شم التراب الميرى والتمرغ في نعيمه، فوقف بشهامة مع أصحاب مصانع الطوب اللبن متحدياً القانون الذي يمنع صناعته، مضحياً بسمعته وحريته لدرجة أنه حوكم وأدين وصدر حكم بحبسه ثلاث سنوات، والحمد لله سارع أصدقاؤه و"حراسه" بإنقاذه بقدرة قادر وفرشوا له الطريق بالورود حتى باب المحافظة التي عينوه على قيمتها نكايه في الحصاد و"أعداء النجاح" وأنصار الانغلاق الحاقدين على "الخصخصة" .. وهنا تلقى الرجل الكبير وبدأ

فضفضة

نضاله في "الخصخصة"، وشمل برعايته عددا من أعضاء المجلس المحلي والمسؤولين في المحافظة فعينهم أعضاء في مجالس إدارات شركاته .. وهكذا ضمن أن يناموا هانئين مرتاحي البال لا يؤرقهم شئ في العالم سوى رد الجميل لسيادته .

وحكايات على بابا الميرى مسئلة للغاية وهي تملأ مجلدا كاملا من مجلدات ألف ليلة قررنا أن ننشره تباعا تحت عنوان جميل يتفق مع العصر وهو : خصصنى يا جدع ..

ديمقراطية "ذكر"!

لا نهاية للأساليب المبتكرة التى يبتدعها بعض الرجال لكم
أنفاس المرأة، وسحق إرادتها ..!

وأخر التقاليع التى لم تحدث من قبل ولن تحدث من بعد
طبعاً هى ما ابتدعه بعض أعضاء البرلمان الجزائرى من أجل
تحقيق ديمقراطية مثالية، أو بتعبير أدق لا مثيل لها فى العالم .

فكر هؤلاء ثم عادوا يفكرون ويفكرون حتى تفتقت الأذهان
عن فكرة جهنمية .. فكرة الديمقراطية "الذكر" . وهى أن الديمقراطية
ولو أنها كلمة مؤنثة فى لغتنا إلا أن طبعها حمش وهى لا تطبق
صنف الإناث، ولا يجوز أن يستمتع بها سوى الذكور فقط .

وبما أن العالم كله مازال لا يعرف هذه الحقيقة الخطيرة،
ومازال الناس يجمعون على أن ديمقراطية نهاية القرن العشرين لأبد
أن يستظل بظلها الجميع من إناث وذكور، كبار وصغار، من جميع
الأديان والعقائد والملل والنحل ..

وبما أن الأحوال السياسية فى كل البلاد العربية تستدعى اللطم
وشق الصدور والرقع بالصوت الحيانى .. فلنقسم المسئوليات بالعدل
والقسّاس .. ينفرد الرجال "بالصوت" ويترك للنساء مهمة لطم
الخدود وشق الجيوب ..

وكما أن القلط بسبع أرواح، وبعض الجمال بسنمين الخ ..

فليكن للرجل الجزائري صوتان .. أحدهما يعبر عن رأيه والآخر عن رأى زوجته .. ولسوء الحظ فإن القانون الجزائري يمنع تعدد الزوجات وإلا لانفرد الرجل الجزائري دون رجال الله جميعا بثلاثة أصوات .. وربما أربعة !

أما لماذا لا تذهب النساء الجزائريات وبينهن نساء على درجة عالية من الثقافة والوعى والمسئولية ليصوتن بأنفسهن .. أو كيف نضمن أن يكون الزوج صادقا وأميناً فيعبر عن رغبة زوجته الفعلية .. أو .. أو .. فكل هذه شكليات وتفاصيل مملة لا يريد هؤلاء الأفاضل أن يشغلوا بالهم بها ..

وقد يتبادر لذهن البعض أن ما قلته آنفا ليس سوى نكتة أو تشنعية على الرجال الجزائريين الذين تابعنا نضالهم الرائع وشجاعهم الفائقة أثناء اندلاع الثورة الجزائرية ضد المستعمرين، ولكن هذه حقيقة لا لبس فيها .. وقد صدر القانون بالفعل ويسمى "التصويت بالوكالة" . وقد اعترضت على هذا القانون المهزلة كل المنظمات النسائية الجزائرية والعديد من الأحزاب والشخصيات العامة وعلى رأسهم سيد أحمد الغزالي، رئيس وزراء الجزائر نفسه وبناء على ذلك أحيل البند إلى المجلس الدستوري للنظر في شأنه .

وهكذا عرف الرجال الجزائريون كيف يكافئون نساء الجزائر اللاتي وقفن بشجاعة لا مثيل لها في صف الثورة وضحين بكل نفيس وغال في سبيل حرية بلادهن ..

ولن تنتهي الحبل والألاعيب التي يبتدعها بعض "الذكور" للحيلولة دون مشاركة "الإناث" في تحمل مسئولية بناء بلادهم ..

أما لماذا يرتعدون فزعا من هذه المشاركة، ويتكتلون معا في بذل الوقت والجهد والعرق في سبيل تأجيلها، مع أنهم يعلمون أنها آتية لا ريب فيها .. فتفسير ذلك بسيط :

إنهم يعلمون وهم أذكىاء أنها ستكون عصا موسى السحرية التي ستبتلع المهازل السياسية وتقف في وجه الفساد والجمود الفكرى وكل الشوائب التي عانينا منها طوال انفراد أمثال هؤلاء بالسلطة وترك الحبل على الغارب لهم دون جدوى ..

وإلى أن تدرك نساء العالم العربى كله أهمية مشاركتهن الفعلية في صنع القرار السياسى، سيظل هؤلاء "الذكور"، يبتدعون أفكارا لا تصدر عن عقل واع سليم .. وإنما عن أشياء أخرى ..

بالعربي الفصيم

فى الوقت المناسب بالضبط جاءت مسرحية جيدة للتثائى العبرى لينين الرملى ومحمد صبحى .. وسط التكهات والأمال التى أثارها انعقاد مؤتمر السلام بمدريد .. يفتح الستار وتطل الصورة الحقيقية لعالمنا العربى .

وميزة هذا التثائى أنهما يقدمان أعمق الأفكار فى قالب كوميدى صاخب .. تتكشف بعد دقائق قليلة أنهما استدرجاك لكى تضحك على نفسك .. على الصورة الهزلية للعالم العربى . وتختلط المتعة بالعذاب . فأنت تضحك من القلب طوال عرض المسرحية .. تضحك حتى تدمع عيناك .. فلا تعرف إن كان ذلك حزنا أم فرحا .. كل هذا من خلال شكل جديد هو البرنامج الذى تقدمه صادقة صالح وخطيبها أمين فالح عبر القناة العربية الفضائية . راح الشبان يوجهان سؤالا صريحا للطلبة العرب فى إحدى الجامعات الإنجليزية حول الصورة الهزلية السيئة التى يقدمها الإعلام الغربى عن العرب .. ومن خلال لقاءاتهما المتكررة نجد أنفسنا إزاء أزمة يواجهها هؤلاء الشبان ..

لقد اختفى واحد منهم هو الشاب الفلسطينى فايز أبو الفضل عمار، ومن خلال بحثهم عن هذا اللزمل يمتد حبل من المتناقضات ليلتف حول رقابهم جميعا .. وتتكشف أمامهم الحقائق المخجلة .

إنهم يتقابلون ويتصادقون ويتسامرون كل مساء فى كافيتيريا بيت الطلاب، وتتشأ بينهم صداقة وطيدة، فهم يتحدثون نفس اللغة، ويفكرون بنفس الطريقة، ويتشابهون مع بعضهم البعض إلى حد التطابق أحيانا .

ومع ذلك فإن الخلافات تنثور بينهم حول أنفسه الأمور، ولا يكادون يتفوقون على شئ واحد . ثم تذوب هذه الخلافات، مهما كان عمقا، فى سرعة البرق حالما يواجه أحدهم مازقا .

وتظهر الصورة الحقيقية لهذه المجموعة عندما يختلفون حول كيفية إنقاذ فايز عمار . لقد دخل عليهم بالأمس وجسده يدمى بالجراح بعد أن تكالبت عليه مجموعة من الشبان الإنجليز وأوسعوه ضربا . ويقرر الطلبة العرب فى نوبة خماس أن ينتقموا لكرامة زميلهم . لكن حماسهم يفتت فجأة بعد أن أبلغهم ساقى الكافيتيريا الإنجليزى أن الملهى اللبلى القريب سيقم حفلة تذكارية والدخول فيها بالمجان .. ويعلنون جميعا استنكارهم لمثل هذه الحفلات وعدم رغبتهم فى المشاركة فيها .. لكنهم يشللون الواحد وراء الآخر، ويذهبون جميعا إلى الحفل التكرى مطمئنين أن أحدا لن يعرفهم ووجوههم مغطاة بالأقنعة .

فى صباح اليوم التالى يأتى واحد من رجال سكوتلانديارد باحثا عن فايز الذى وجهت إليه تهمة حرق مكتبة إنجليزية بسبب

فضفضة

عرضها كتباً تنقذ العرب وتسمى إليهم . وينكر الجميع صلتهم بالحادث . ويواجه الطلبة العرب معضلة ..

إما أن يقرأوا جميعاً بمشاهدة فايز وأنه كان معهم فى الملهى الليلى "الماخور" وبذلك يفتضح أمرهم جميعاً ويواجهون غضب أهاليهم ولعناتهم . أو ينكروا ذهابهم إلى "الماخور" أو معرفتهم أين قضى فايز ليلته . وبذلك تثبت تهمة حرق المكتبة عليه .

أى أن عليهم أن يختاروا : هل هم قوم همج وأعداء للثقافة وحرية الرأى، أم أنهم لاهون عابثون جاءوا ليحصلوا على الشهادات العلمية فتركوا مدرجات الجامعات إلى حيث المواخير والردائل .

كلمات لينين الرملى دبابيس تنكش فى عقلك وتوخز قلبك، وإخراج محمد صبحى يعتمد على اللوحات الجمالية، والرقصة فى تصوير الشخصية بحيث إننا نساءلنا جميعاً هل هؤلاء الشباب من ليبيا والمغرب والكويت والجزائر .. الخ وعرفنا أنهم جميعاً مصريون .. كلهم أسماء غير معروفة، ولكن كلمات لينين الرملى وإخراج محمد صبحى جعلاً منهم نجومًا تتألق فى نضارة لتجدد شباب مسرحنا .. وهذا تحد لا يقدر عليه إلا الثنائى لينين / صبحى وثالثهما حسن عفيفى مصمم الرقصات .

فالمسرحية وإن كانت بلا أسماء شهيرة إلا أن جميع أبطالها

فضفضة

نجوم .. وهى تثبت أن النجمين الحقيقيين للمسرح هما النص والإخراج، وتثبت أيضا أن النبض الفنى فى بلدنا العريق الخصب بأبنائه لن يتوقف أبدا ..

وأتمنى أن يشاهد هذه المسرحية مؤلفو ومخرجو بعض المسرحيات ليتعلموا كيف يكون الضحك راقيا، ومطهرا لما فى القلوب من هموم حقيقية، وليرحمونا من تلك المساخر التى لا يقدمها سوى الأراجوزات ومهرجى السيرك ودمى مسرح العرائس ..

سويسرا تغزو القاهرة

لاشك أن دولة سويسرا ستتنبه قريبا وترفع دعوى مستعجلة أمام القضاء ضد محافظة القاهرة وتطلب تعويضها عن العار الذى ألحقته بها ..

والسبب ذلك الحى المنيوذ بأطراف مدينة نصر الذى أطلق عليه خداعا "المشروع السويسرى" . وربما خدع المسئولون فتصوروا أن بحيرات المجارى للراكدة منذ سنوات التى تحيط بالحي من كل جانب تشبه إلى حد ما بحيرة جنيف بسويسرا .

وشتان ما بين سويسرا بكل مدنها وقراها وأحيائها وهذا الحى المسكين الذى شاء سوء حظه وحظ قاطنيه أن يولد سفاحا، أى انه لا يعرف له أبأ ولا أما . هل هو يتبع الحى العاشر بمدينة نصر، وبذلك تصبح شركة مدينة نصر الأم للشرعية له .. أم أنه خارج تخطيط المدينة ؟!

وقد يتصور البعض أن هذا سؤال سفسطائى لا داعى له، ولكن الواقع أن سكان الحى وأغلبهم أساتذة جامعة وصحفيون وضباط ومستشارون بالقضاء كلهم يدورون حول أنفسهم ليسألوا هذا السؤال كما كان الفيلسوف القديم يسأل كل من يراه : هل رأيت قطعة سوداء تمشى فى الظلام ؟!

وعندما هجر هؤلاء المواطنون أحياء القاهرة القديمة هاربين

فضفضة

بأعصابهم وقواهم العقلية من سيمفونية الضوضاء والفوضى والقدارة
لم يكن يخطر ببالهم أنهم سيواجهون في مجتمعهم الجديد مسرحية
عشية من النوع الهزلى التراجيدى .

لقد صدقوا ما يقال فى الكتب والمقالات والخطب من أن
الإنسان المصرى يجب أن يزحف إلى الصحراء ويعمرها وتصوروا
ان حيا جديدا يعنى حيا مرصوفا، مضاء، نظيفا، لا يعانى من طفح
المجارى، أو همتهم عبارة "المشروع السويسرى" فتوهموا أن سويسرا
ستصل إليهم، بدلا من أن يضطروا للسفر إليها وتكبد أسعار شركات
الطيران الباهظة .

وما إن مضت أيام قليلة حتى فوجئوا برئيس حى مدينة نصر
يعلن انه لا يستطيع أن يشمل هذا المشروع داخل خطته طالما أن
شركة مدينة نصر لم تسلمه له .

والنكتة التى يعرفها الجميع أن رئيس الحى نفسه عضو مجلس
إدارة بشركة مدينة نصر بحكم منصبه .

ولا أحد يعرف متى ستنتهى لعبة الهجر والخصام الدائوة الآن
بين رئيس الحى والشركة، ولكن مئات العائلات تنتظر بفارغ الصبر
عودة المياه إلى مجاريها لكى يعرفوا أخيرا من هو الأب الشرعى
لمشروعهم فيتوجهون إليه بالشكوى من الأحوال التى يلاقونها به ..
وأنا نيابة عن هؤلاء المواطنين أطالب أى مسئول مهم فى البلد أن
يتوجه لزيارة هذا الحى المنكوب : أى مسئول .. إن شا الله بواب

فضفضة

وزارة أو السائق الخاص لأحد الوزراء المهمين .. فعندئذ سيصاب موظفو الحى العاشر بمس كهربائى وبسرعة البرق يرصفون شوارع المشروع ويصلحون مواسير المياه والمجارى ، وسيعود ضبط نقطة الشرطة المهجورة إليها وسيتحرك قسم الشرطة لحماية الأهالى من غارات السلب والنهب التى تغير على السكان والشوارع من عزبة الهجانة القريبة وتستولى على كابلات النور وأغطية البالوعات وإطارات السيارات وكل ما خف وزنه وغلا ثمنه . ولعلمهم يتبهبهون أخيرا إلى غرز تدخين المخدرات وشم الهيروين التى تدار علنا فى الصحراء القريبة من الحى .

أين يذهب مواطن القاهرة الذى ضاق صدره وزهق من عيشته فى الأحياء القديمة المهملة ؟! ولمن نشكو إذا كان كل مسئول يرمى بلواه على مسئول آخر والجميع فى حالة لامبالاة قاتلة ؟!

متى تحدث معجزة ويتم للتنسيق بين الأجهزة المختلفة، ويفيق المواطن المصرى من دوامة الغم التى يلقي به المسئولون فيها .. وقبل أن تنتبه دولة سويسرا للكارثة فتخرج عن حيادها وتعلن الحرب علينا ثم تنتصر وتحتلنا قلدر يا كريم وبذلك تطرد هكسوس المكاتب، وتنتهى مأسينا معهم إلى الأبد !!

الموت غيظا !

ابتلينا هذه الأيام بداء القر على عباد الله وبالذات أصحاب المناصب العليا الذين كونوا ثروات طائلة، وقديما كان الشعب ينظر إلى مثل هذه الشخصيات بإعجاب وتقدير ويطلق على بعضهم لقب العصامي الكبير، ولكن ذات يوم في يوليو شديد الحرارة اندلعت ثورة الحاقدين، وصدر قانون "من أين لك هذا؟"، وهو قانون وقح يتجرا على أسرار الناس، ويفتش جيوبهم ويفضح أخلاقياتهم ويعري سوءاتهم .

وفي العصور الذهبية يلقي القبض على ذلك للقانون المنشرد ويلقى به في غياهب النسيان وبذلك يتحقق السلام الاجتماعي، ويعيش كل إنسان على راحته، فيثري من يثرى ويفقر أو يموت جوعا من يفقر .

لكن بعض الحاقدين لا يريدون لهذا البلد أن يعيش في سلام .. فإذا بهم يطلقون الشائعات وآخرها ما زعمته جريدة معارضة حول مسئول أعفى من منصبه أخيرا . ادعت الجريدة المعارضة أن جهة أمنية تجمع الوثائق حول ذلك المسئول السابق وأنها اكتشفت أنه يمتلك ثروة تقدر بأكثر من مائتي مليون دولار ما بين مال سائل وعقار، وأنه اشترى جزيرة في اليونان (اشمعى أوناسيس) !!

وأنا لن أكرر ما نشرته تلك الجريدة (غير القومية) في صدر صفحتها الأولى لأنه يدخل في باب الغل والحقد والحسد ولن أقول لها

ولأمثالها سوى : موتوا بغيطكم !

من الواضح جدا أن ذلك المسئول الذى كان كبيرا كان يتحرك فى السليم، وكان عشرات بل مئات الموظفين يهرولون خلفه سامعين طائعين، ينفذون أوامره بلا تردد وإلا فهل ستنبتون لنا أن "سيادته" كان يمتلك طاقة الإخفاء .. وأن ما ارتكبه من انحرافات وما تقاضاه من عمولات وما أسسه من شركات وما امتلكه من قصور وفيلات يتم تحت شعار أبوك السقا مات !!

الواضح أيضا أن زملاء ذلك المسئول السابق من الكبراء أمثاله كانوا يعرفون كل شئ عنه ولكنهم كانوا يرون تصرفاته عادية لا تستحق المواجهة ولا تستدعى أن يحرم من منصبه الذى احتله لعدة أعوام، صال فيها وجال، واحتكر سلعة مصرية فأصبح وحده البائع والمشتري عن طريق شركة دولية أسسها فى جزر البهاما .

المهم أن كل شئ كان آخر تمام، على الرغم من أن جريدة معارضة أخرى بح صوتها من التنبيه إلى انحرافات ذلك الرجل ولأنها مغرضة وحاقدة وغير قومية فلم يلتفت إليها أحد .. إلى أن نشرت جريدة "خواجه" تحقيقا عن ذلك المسئول نشرت فيه كل غيبه القذر .

هنا قامت الدنيا ولم تقعد .. ليس لأن مسئولينا والعياذ بالله يعانون من عقدة الخواجة ولكن لأن هذه الجريدة الأجنبية بالذات لا تعرف الحقد ولا الكذب، وهى تصدر من بلد "البيج بوس" أو حامى

حمى الرأسمالية والعدالة والديمقراطية للعم بوش .

صدر أمر فورى بعزل المسئول من منصبه وبدأت أجهزة الأمن تفتش من سباتها الطويل وتفتش عن خباياه .

وكما تعودنا دائما فى هذا البلد الأمين .. لا دخان بلا نار ..
نتوقع أن تثبت صحة كل كلمة جاءت فى تحقيق المجلة الأجنبية ..
وهنا يثور سؤال حائر : أين ستذهب ثروة الرجل بعد مصادرتها ؟
وهأنذا اقترح على المسئولين أن يختاروا عن طريق القرعة مائتى
بائس من بؤساء البلد، وما أكثرهم، فيوزعون مليون دولار على كل
واحد منهم زكاة عن أموال الحكومة السايبة .. وهكذا تصبح مصر
بلد الخمسمائة مليونير (كانت حتى تاريخه بلد الثلاثمائة مليونير فقط).

وأعتقد أن العثور على هؤلاء البؤساء لن يكون صعبا، وكفى
أن يدخل أى مسئول إلى مؤسسة روزاليوسف ويفتش فى دفتر
المرتبات ليجد اسمى على رأس القائمة .

وقانا الله شر الحسد والحاسدين .

فى صفة النواب

أتعاطف تماما مع نواب الحزب الوطنى الديمقراطى الذين يطالبون بتقييد حرية الصحافة، وأقترح على نقابة الصحفيين أن توزع على كل عضو من أعضائها كمائة وكثافه وغمامة لزوم الشغل، إن هذا يضمن لنا وللأعضاء القلقين على مصائرهم أن تكلم أفواه الصحفيين وتكف أيديهم وتوضع على عيونهم غمامة، فيصبحون كالقرود الهندى الأسطورى الذى لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم .

والواقع أن زملائى الصحفيين، خصوصا فى صحف المعارضة (التي هى ليست قومية) قد زودوها حبتين، وأساءوا استغلال هامش الديمقراطية الذى تعطفت الحكومة وتسامحت ومنت به عليهم، وصحيح أن حرية التعبير تعتبر من أهم حقوق الإنسان التى نصت عليها معاهدة الأمم المتحدة، ووقعت عليها مصر .

إلا أن هذا لا يعنى أن يشمر الزملاء عن سواعدهم وينفرغوا لكشف وفضح فئة من نواب مجلس الشعب الموقر، قدمت طعون فى صحة عضويتهم من بعض الحاسدين الحاقدين، ولقد برأت محكمة النقض العليا عددا من هؤلاء، وأدانت عددا آخر، ولكن هذا أيضا يجب ألا ينسبنا المبدأ الهام الذى لا تنازل عنه، وهو أن مجلس شعبنا الموقر "سيد قراره"، وهذا يعنى أنه يستطيع أن يتجاهل قرارات أعلى سلطه قضائية فى البلاد .

وقد جاء فى الصفحة الأولى من جريدة الأهرام فى الأسبوع

فضفضة

الماضى أن اللجنة الدستورية التشريعية بالمجلس تبين لها أن محكمة النقض العليا لم تستمع إلى رأى أعضاء المجلس المطعون فيهم، واستمعت فقط إلى الطاعنين ولم تنتبه إلى أنهم قدموا مستندات مزورة !

وهذا يعنى بلا لاف أو دوران، أن محكمة النقض العليا لم تقم بواجبها كما يجب، أو هى، والعياذ بالله، تقتقر إلى الحياد وتشعر كما يشعر البعض بالحقد والحسد تجاه هؤلاء الأعضاء، ونشر هذا الخبر فى الصفحة الأولى من أكبر جريدة "قومية" يعنى بوضوح أن الحزب الوطنى ديمقراطى جداً، وأنه لا يخشى فى الحق لومة لائم، وأنه يقول للأعور أنت أعور .. فى عينه !

فماذا يريد زملائي الصحفيون، ولماذا يحشرون أنوفهم فى خصوصيات المجلس ويشيعون الشك فى قراراته .

وما الذى يضيرهم إذا كانت فئة من الأعضاء ينطبق عليهم المثل الشائع "باب النجار مخلع" .. داسوا بأقدامهم القوانين التى انتخبهم الشعب كى يذودوا عنها . إن اللجنة المختصة بالفصل فى الطعون تؤمن بمبدأ "دارى على شمعك نقيذ"، وهى لم تحرك ساكناً ضد عضو قديم طعن فى صحة انتخابه .

ورفضت اللجنة الدستورية والتشريعية تقرير محكمة النقض الذى يدينه، بل ونكايه فى الحاقدين المتشككين ظل هذا العضو يحتفظ بمنصب رئيس الهيئة البرلمانية للحزب الوطنى الديمقراطى جداً،

فضفضة

وعضو آخر حدث له نفس الشيء أعيد انتخابه منذ أيام وكيلا لمجلس الشعب للمرة الثانية .

وياعوازل فلفلوا ..

وحسنا يفعل حزب الأغلبية المطلقة عندما يسد إحدى أذنيه بالطين ويملاً الأخرى بالعجين، يكفيه فخرا أنه الحزب الذى يعبر عن كل فئات الشعب وأنواعه . وقد وضع على رأس قوائم الانتخابية أعضاء مشهودا لهم بالنزاهة والاستقامة وأعضاء آخرين يشتبه فى اتجارهم بالمخدرات أو العملة أو متهمين بالرشوة والاختلاس أو التهرب الضريبى أو الاستيلاء على أراض .. الخ . ذلك هو التطبيق العملى لمبدأ التعددية، والحمد لله أن دستورنا الحالى ليس متزمتا ولا معقدا مثل هؤلاء الصحفيين فلم يشترط أن يكون عضو مجلس الشعب حسن السير والسلوك .

لقد افترى أصحاب القلم . وحولوه فى يد كل واحد منهم إلى مدفع رشاش ذخيرته الاتهامات الكيدية والشائعات المغرضة . بلى إن أغلبهم لا يستحون أن يستشهدوا بتحقيقات وتحريات قامت بها جهات حكومية رسمية، كأنهم يسعون لبث الفرقة والخصام بين أبناء الحزب الواحد !

ونصيحة لوجه الله أهديها إلى زملائى أن يقصوا بضعة سنتيمترات من السنة أقلامهم وأن يمشوا بجوار الحائط، حتى لا يضطر مجلسنا الموقر أن يذعن لإلحاح أعضائه الثائرين .

دعوا الخلق للخالق .. فمهما قلتم وكتبتم، وحتى لو ضربتم رؤوسكم فى الحائط .. لا فائدة .

أما عنى شخصيا، فإنى من هذا المنبر أبعث ببرقية عاجلة إلى الحزب الوطنى الديمقراطى جدا . أقول فيها بكل إخلاص : "باحبك يا مجرم" ..

قصاقيص هذا الرجل

لا تذهب لمشاهدة قصاقيص أحمد نبيل التى يعرضها على مسرح الشباب هذه الأيام .. لا تذهب حتى لا تصاب بصدمة، وتكتشف أن بمصر فنا راقيا، وفنانين غير مرتزقة، وكوميديانات عالمية .

وإذا كنت من عشاق الكوميديا إياها، فستصاب بالإحباط لأنك لن تجد امرأة "ملظظة" تتلوى أمامك كالودودة، أو كأنها مصابة بمغص كلوى، بينما شفتاها "الملحوستان" بالأحمر اللانى تفتران عن ابتسامة بلهاء .. ولن تجد مطربا دميما يفتح فمه على الآخر ويغنى بصوت يشبه نقيق الضفادع على أنغام الزار .. وإذا تابعت تكوينات أحمد نبيل الصامتة المهذبة الراقية فلا بد أن تصاب بنوبة ملل حادة .. ذلك أنه يحاول أن يوصل إليك فكرة نبيلة هادفة دون أن يتلاعب بالألفاظ ودون أن يردد نكات سخيفة لا تضحك أحدا سوى أصحاب العقسول الفارغة .. والأهم من ذلك كله، أو الأسوأ، أنه لا يمتطرك بالإيماءات الجنسية والعبارات البذيئة ..و..

مسرح أحمد نبيل يعود بك إلى أرقى لحظة فى تاريخ الإنسان.. لحظة الاحتياج إلى التواصل، وتخطى عقبة الكلام، والقفز فوق أسوار اللغات الشائكة . بالتعبيرات البليغة يتحدث الجسد، وتوحى ملامح الوجه، وإشارات اليدين بما لا تستطيع الكلمات أن تبوح به .

وهو يضحك . هذا حقيقى، ولكنه ضحك راق ينتزع من القلب

فضفضة

همومه، ويغسله، وينفض عنه كآبة اليوم المرهق الطويل وتتساب موسيقى هانى شنودة بين ثنايا عقاك فى هدوء، كأنها نسمة روحانية تعود بك إلى لحظات الشفافية التى نسيته منذ وقت طويل، وأصبحت تتخيل مثل كل الناس المرهقين أنها لم تعد موجودة .

ولكن قصاصيص احمد نبيل تؤكد لك أنها هنا، وحواك فى كل مكان، عندما يحكى لك عن حلم الإنسان، ولحظات التأمل، والإبداع ومحاوله إنسان ما أن يتخلص من حياته، لكن القدر لا يريد له ذلك والعلاقة بالغة الرقى بين بائع لعب وطفل فقير لا يمتلك ثمن اللعبة، وبطل رفع الأثقال الذى يتظاهر بالقوة .. الخ .

سيد هشك كل هذا، وسيشدك إلى مقعدك ولن تغادر المسرح قبل أن ينتهى الفنان الكبير احمد نبيل من أداء أدواره المتعددة برشاقة ملحوظة واستغراق كامل . وسنتظل نتساءل فى حيرة : هل قام أحمد نبيل بتأليف وإخراج هذه القصاصيص على أنغام هانى شنودة أم أن هانى هو الذى ألف الموسيقى وفقا لحركات أحمد نبيل ؟! فالتوافق والانسجام التام بين حركات جسد الفنان وإيماءاته وتعبيرات وجهه، وبين موسيقى هانى شنودة يزيد من متعتك الراقية وتشعر بسعادة أكبر عندما تلتف مع بقية المتفرجين حول أحمد نبيل وتساله فى لهفة حول هذا اللغز، ثم تعرف منه أن موسيقى هانى شنودة قد رافقته منذ البداية، ولم تفارقه يوما . وأن الفنانين يعملان معا لساعات طويلة لكى يخرجوا أخيرا بهذه التجربة الفنية للمتعة .

اللغز الذى لن تستطيع أن تحله أبدا هو لماذا يصير أحمد نبيل

فضفضة

على أن يمضى، وحده فى هذا الطريق الوعر .. طريق الفن الراقى البعيد عن الابتذال والإسفاف، وعلى الرغم من أنه فنان كوميدى من الطراز الأول كان بإمكانه أن يهز وسطه ويتشقلب ويلعب حواجه ويتقبل الصفعات، ثم يكسب مليون جنيه !!

والسؤال الثانى . متى تعترف وزارة الثقافة بفن البانتوميم كفن راقٍ له قواعده وأصوله ومسابقاته العالمية ونجومه العالميون الذى يعتبر أحمد نبيل واحدا منهم بلا مبالغة .. ومتى تصبح لدينا فرقة بانتوميم تحت إشراف هذا الفنان الجاد الملتزم الذى كرس حياته الفنية كلها من أجل البانتوميم تطوف بالمدارس والنوادر والنقابات لتقدم من خلال الفن الراقى والضحكة الصافية استكشاث تنتقد ما يشوب حياتنا اليوم من فوضى وارتجال وأناية، وتقدم . البديل فى السلوكيات المتحضره الذى يرتقى بنا إلى المدنية !

مرة أخرى أنصحك .. لا تذهب لمشاهدة قصاقيص أحمد نبيل إذا كنت من هواة مسارح الزغزغة وكوميديات المسخرة الهابطة ..

اكفى ع الخبر ماجور

يتساءل بعض الخبثاء لماذا لا يستقيل الوزير المصرى السذى يحدث فى وزارته خطأ جسيم، كما يفعل وزراء دول أخرى تتمتع "مثلنا" بالديمقراطية ..!

وهناك سبب بسيط يجهله هؤلاء وهو أن تلك البلاد الأخرى لاتنتمى إلى دولة يرجع عمر بيروقراطيتها إلى أكثر من سبعة آلاف عام، وبالتالي فإن الكراسى التى يجلس عليها الوزراء فى تلك الدول من النوع الردى* ، أى أنها هشّة، وقابلة للكسر فى أى وقت .

أما "الكراسى" التى يحتلها وزراءنا وكبار مسئولينا فهى من النوع المتين، لاتتأثر بعوامل الزمن مهما واجهت من أخطاء وفضائح وكوارث . والدليل على ذلك أن أكثر من وزير ومسئول كبير مازالوا يجلسون "مترسّنين" فوق كراسيهم منذ سنوات طويلة على الرغم من كل ما يشيعة حولهم المغرضون والمشككون من حكايات سيئة وما ينسبونه إليهم وإلى بعض أذئابهم من مخالفات وجرائم .

وهى بالقطع حكايات لا أساس لها من الصحة، والغرض الوحيد من ترويجهها هو هز الاستقرار الذى تحتاج إليه أى وزارة حتى تؤدى واجباتها على أكمل وجه . وبسبب السياسة الحكيمة لحكومتنا التى تتبع مبدأ "طنش تعيش"، ومبدأ آخر أكثر حكمة هو

فضفضة

"اكفى ع الخبر ماجور"، فإن تجاهل ما يردده الحاقدون حول أنساب هذا الوزير أو ذلك مرعان ما ستتسى وتدفن فى رمال الهموم اليومية التى تغرق عقل المواطنين وتسميهم أسماءهم .

إن أكثر من حكومة أجنبية تنظر إلى حكومتنا بغيظ وتصددها من الأعماق على ذلك الاستقرار الذى يتمتع به وزراؤها مهما ارتكبوا من أخطاء .. ويشاع أن دولا بعينها أرسلت خبراء لها لبحثوا السر وراء رسوخ هؤلاء الوزراء وبقاتهم متريعين فوق أنفاس الشعب المصرى .

والحمد لله أننا نعيش عصر الديمقراطية، فما أن توصل هؤلاء الخبراء إلى السر الدفين حتى أذيع على الفور وتبين أن كراسى الحكم فى وزاراتنا الرشيدة قد طليت منذ عصر فرعون بنوع نادر من الغراء، الذى سرعان ما يلتصق بأجساد الوزراء ويجعل من المستحيل "تعتعتهم" عن مواقعهم، حتى ولو زلزلت الأرض زلزالها..

فما فائدة الحديث أو مجرد التفكير فى استقالة أو إقالة أى وزير .. ألا يعلم هؤلاء الخبثاء أن أى مواطن مصرى يعين فى منصب كبير يصبح على الفور عملة نادرة لا مثيل لها فى الوجود . إن بعض السذج يتصورون أن التغيير الكبير الذى يطرأ على شخصيات "الكبراء" فى بلادنا سببه جنون العظمة، والواقع أنه ليس

سوى نوع من الاكتئاب الذى لم يجربه الناس العاديون أمثالنا، ينتج عن وطأة الإحساس بالمسئولية للجسيمة التى تلقى على كتفى كل من هو فوق مستوى البشر، ويعلم أنه قد حكم عليه بالجلوس فوق كرسيه إلى الأبد ..

وهم مجبرون على تجاهل الأصوات التى ترتفع مطالبة باستقالتهم، والمقالات التى تملأ الصحف مدللة على فشلهم التام فى إدارة شئون البلاد .. والسبب كما قلت من قبل ليس لأن كبارنا قد أصيبوا لا سمح الله بأى نوع من الصمم، ولكن لأن ذلك الكرسي العتيد الذى أجبروا على الجلوس فوقه، رغما عن إرادتهم، من الراحة بحيث يصيب عضلاتهم بالارتخاء فيتخيل من يراهم أنهم فى غاية السعادة والاستمتاع بمناصبهم، وهم فى الواقع يعانون ويتألمون ..

رفقا بوزرائنا، ولندعهم يعملون فى هدوء ولننتذكر أن جرائم الفساد والرشوة والاختلاس والمحسوبية ترتكب فى كل بلاد العالم، وأن كوارث الحرائق وانهيار الجسور وغرق السفن تواجه كل الشعوب . وفى البلاد الأخرى "يتسرع" الوزراء فيواجهون المسئولية ويتحملون الذنب ويقدمون استقالاتهم معترفين بأخطائهم . ويقدم المسئول الحقيقى عن الخطأ إلى المحاكمة وينفذ العقاب مهما كبر ويقصى عن المناصب العليا إلى الأبد .

وهذا لا يعنى أننا لابد أن نقلد الآخرين تقليدا أعمى، فلكل بلد ظروفه، ولكل شعب وزراؤه ولكل حكومة سياستها ..

وإيماننا منى بمبدأ "الكفى ع الخبر ماجور" الذى تطبقه الأجهزة الرسمية فى بلادنا منذ سنوات طويلة، فإننى أعلن على الملأ أن كل ما نشر مؤخرا فى صحفنا السيارة عن كوارث ومصائب ليس صحيحا، فلا يوجد فى بلادنا جسر نوبارية ولا عزبة عبدالقادر، وليس لدينا أى سفينة تسمى سالم، أما عن الخسارة المادية لحريق مبنى قطع الغيار فى السكة الحديد فلم تتعد بضعة جنيهات أو ملايين ..

الأمر إذن لا يحتاج إلى كل تلك الشوشرة .. وليهنأ وزراؤنا بمقاعدهم الأثرية الجميلة .. واعدنا يارب بكرسى من أبوغرا

قول ياباسط

كارثة العبارة سالم اكسبريس التى ودعنا بها العام الماضى، ما كان يمكن أن تحدث لأى شعب آخر غيرنا فحسن المصريين أكبر الشعوب عمرا، صرنا نحمل من الصفات ما لا يحمله شعب آخر فى العالم . ولغتنا العامية أصدق دليل على ما وصلنا إليه من "حنكة" وفهم للحياة . وبحث فى قاموس أى لغة فى العالم عن ترجمة لكلمة "سهلة"، أو عبارة "قول ياباسط" ..

لن تجد بالقطع، بل لن تعثر على ناس يستهترون بالحياة كما نفعل نحن تحت عشرات المسميات والحجج التى تعبر عنها عبارات مثل "خليها على الله" "يا عم ما تعقدهاش" .. "يارجل ما تبقاش نمكى". ولا أعرف معنى كلمة "نمكى" هذه ولا من أى لغة اقتبسناها . ولعلنا اخترعناها لنعبر عن رأينا فى أى شخص "عقد" ودائما "يحبكها". ويعطل "المراكب للسائرة" .

ولاشك أن القبطان الشهيد حسن مورو قد راح ضحية لكل ذلك التراث اللصخم من الاستهتار المصرى والقدرية التى تكاد أن تصل بنا إلى حافة الانثحار .

لم يشأ حسن مورو أن يكون "معقدا" ولا "نمكيا"، فرضى كما يرضى قباطنة آخرون بأن تكون حمولة العبارة من البشر ضعف

العدد المفروض . ولماذا يعترض ونحن جميعا نعلم أن العبارات التي تحمل المصريين ما بين ميناءى جدة وسفاجة أصبحت لا تختلف إطلاقا عن أى أتوبيس قاهرى يحمل للناس ما بين شبرا والعباسية .

الفرق الوحيد أن سيارات الأتوبيس التى تستوقف السياح فيأخذون صوراً تذكارية بجوارها، والعبارات، هو أن الأولى تسمى "علب السردين" مجازاً، أما الثانية فهى علب سردين حقيقية .. سردين بشرى معبأ لتغذية أسماك القرش والباراكودا المتلغفة والتى كانت تعرف أن الوليمة قادمة فى أى وقت، وتنتظر بفارغ الصبر ..

ولكن نحن، لأننا مؤمنون بمبدأ قول ياباسط تعامينا عن الوقائع، وتركنا الأمر كله فى يد عبد الباسط . وعبد الباسط هذا كان يعلم منذ البداية أن الأمر سينتهى حتماً بمأساة .. فكل شئ حول العبارة سالم من يوم مولدها حتى غرقها كان ينبئ بمصيرها التعتس. تاريخها كله يقول إنها عبارة مشنومة، معلولة، معوقة، سيئة السير والسلوك، تلطمت كثيراً بين موانئ العالم وأحواض إصلاح السفن ..

أمور كهذه لابد أن تطفش أفقر مليونير من شراء العبارة والمغامرة بتسييرها فى بحر يمتلئ بالشعب المرجانية والأمواج العالية . لكن عبدالباسط المصرى تمثل فى مغامر خبير فى استثمار أزمات بلده واستغلال بنى وطنه، هو العبقرى سامى على حسن، الذى

اشتراها وهو يعلم أنها "معيوبة" وحاول أن يغير معالمها، وأجرى لها عدة عمليات تجميل ثم كعادة نصابى هذه الأيام أطلق عليها اسما يوحى بالتقوى والتدين : الطاهرة ..

وانطلقت الحيلة على عربى آخر .. اشترى العجوز الشمطاء وهو يتصور أنها صبية مليحة . وما دامت ستحمل مصريين، وترسو فى ميناء مصرى .. فلن يكون هناك مشاكل .. قول باباسط ..

وعلى عادة المصريين الغلابة .. كانوا يتسابقون للحصول على موضع لقدم فوق عبارة الموت .. لم يرفض أحد ذلك الوضع المهين .. لم ترتفع أصواتهم احتجاجا على شئ .. لم يعترضوا .. رضوا بالأمر الواقع ودفعوا ثمن ركوب "علبة السردين" على أمل أن تمر الساعات أو الليالى على خير ويعودوا إلى دفء بيوتهم وأحضان الزوجات والأبناء والأقارب .. كل شئ يهون عند المصرى فى سبيل حضن العائلة .

ويستمر مسلسل أخذ الأمور بتلك البساطة المروعة، أو السبילה .. لتتواصل حلقاته فى ميناء سفاجة الذى يتلقى إشارات استغاثة الباخرة فى استهتار غريب وتتم عمليات إنقاذ شكلية بعد تسع ساعات كاملة فإن عبدالباسط كان قد سبق الجميع إلى الميناء، فحرمه من وسائل الإنقاذ والإضاءة وطائرات الهليكوبتر وخطوط

التليفون .. الخ .

إنها "السهلة" مرة أخرى تطل علينا بوجهها الأبله، ونحن نتصور أنها تبتسم في وجوهنا وتغرقنا بالنكات، بينما هي تتوعدنا بالمزيد من الكوارث والنكبات .

وحتى يأتي اليوم الذى نفيق فيه من غيبوبة السهلة ونغير ما بأنفسنا، ونأخذ الحياة بجدية أكثر، ونتعلم من الدروس القاسية .. قول ياباسط ..

الهكسوس الجدد

يعتقد بعض المؤرخين أن الملك المصرى الشاب أحمس انتصر على الهكسوس وطاردهم حتى خرجوا جميعا من مصر . وهناك نظرية تقول إن ذلك الشعب الآسيوى الذى غزا مصر فى العصور القديمة، واحتل الوجه البحرى لفترة زمنية، قد اختفى بعد الهزيمة المنكرة التى منى بها على يد الملك الصعيدى أحمس، وأنه لا يوجد أى أثر يدل على وجود الهكسوس اليوم .

واعتقد أن هذا خطأ وقع فيه المؤرخون، فالمتمأمل لأحوال مصر اليوم، بعد طرد الهكسوس بآلاف السنين، يلحظ جنسا غريبا يخالطنا ويتظاهر بأنه منا، وهو بالقطع ليس منا . والأمر الخطير أننا نقف أمام تلك الظاهرة عاجزين، بل إننا بما يعرف عنا من حسن النية و "السهلة" نتصور أن هؤلاء القوم مصريون مثنا .. لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

والنظرية التى فتح الله بها على هذه الأيام تقول إن أحمس هزم الهكسوس بالفعل وطاردهم خارج البلاد، لكن نفراً منهم أفلحوا فى الهرب، بأن اختبأوا تحت المكاتب الحكومية، وظلوا يحتلون بها إلى اليوم ..!

فضفضة

إن مصر أول دولة فى العالم تؤسس نظاما للحكم وتقيم الدواوين ومكاتب الحكومة . ومنذ عهد أحمر الفرعونى وهؤلاء يقبعون فى المكاتب الحكومية لا يبرحونها، وقد حولوها إلى تكنات عسكرية سرية يشنون منها حربا نفسية ضد المصريين . وقد استطاعوا بالفعل أن ينتصروا فيها وأن يحولوا حياتنا إلى جحيم .

ادخل أى مكتب حكومى فى البريد، أو الجمارك أو مصلحة الضرائب أو الشهر العقارى أو السجل المبنى أو المجارى، لابد أن تجد هكسوسيا صغيرا أو كبيرا يعترض طريقك ويعطل لك المراكب السائرة وينكد عليك عيشتك . ولسوف نكتشف ذلك الهكسوسى من نظراته وإيماءاته والعبارات التى يتفوه بها .

تستطيع مثلا أن تعرف "الحدود الهكسوسية" إذا ما دخلت مكتبا حكوميا ووجدته مثلا للفوضى والقفازة، وكانت حوائط الغرفة سوداء تعلوها أعشاش العنكبوت، وإذا ما كان مكتبه متريا يزدحم بالملفات التى تعطلت فيها مصالح الناس، وأدراجه منبعجة إلى الخارج تتلهمف شوقا إلى الرشاوى .. الخ .

تلك هى معالم الهكسوسية الأصيلة وهم يستخدمون أسلحة فاتكة لا تخطر على بال إنسان منها مثلا تسليط الفئران على المصالح الحكومية الهامة ولعلك تذكر منها فأر السبئية، وأخيرا فأر المطار

فضفضة

الذى يرتع هذه الأيام ويجبر الطيارين على العودة مرة أخرى إلى المطار .. ويعطى صورة "رائعة" لمصر القرن العشرين أمام السياح من كل بلاد العالم !!..

وهذا انتصار آخر يضاف لانتصارات هكسوس هذا الزمان، بالإضافة للمظهر العصري "الرائع" لشوارع مصر والأماكن العامة والمرافق المنهارة والخدمات السلحفائية والمواصلات المكتظة و..و.. وقد أدرك أبناء هذا الشعب الدخيل علينا مواهبهم فنراهم يتسابقون لاحتلال مناصب بعينها مثل رئيس حى أو رئيس مصلحة فهم يعشقون هذه الأماكن الاستراتيجية حيث ينفذون مخططاتهم العدوانية على راحتهم، فلا حسيب ولا رقيب .

وإذا لم تصدقنى، اذهب إلى أى رئاسة حى واسأل عن رئيس الحى فإذا وجدته سادف لك مليون جنيه (بشيك يحرره الأستاذ رشاد نبيه المحامى)، وإذا التقيت به وأجبرته على قراءة عشرات المقالات والتحقيقات الصحفية والعرائض والشكاوى والأدعية التى خطها المصريون ضده، فلن تجد منه سوى الاستهتار واللامبالاه . إن الطائفة الهكسوسية التى تحكم حصارها حول حياتنا وتشوه صورتنا أمام الناس وتجبرنا على التفكير فى "الهججان" من بلدنا إلى أى بلد آخر فى العالم، هذه الطائفة تحمى أبناءها جيداً وتستطيع أن تخرجهم

من أى مأزق كالشعرة من العجين .

وإلى أن تترك حكومتنا أخيراً أن الهكسوس لم يطردوا جميعاً
من مصر، وأن أنسابهم ما زالت تنخر فى عظام المجتمع المصرى
كالسوس .

وإلى أن يتوصل عالم إلى اكتشاف مصل للوقاية من الإصابة
بمرض الهكسوسة (وهو مرض وبائى خبيث) .

أرجو أن ينظر كل منا إلى وجهه فى المرأة ليكتشف أى
ملامح هكسوسية قد أصابته فحولته من إنسان عصرى جميل إلى
هكسوسى متخلف دميم .

فهل أنت د. جيكيل .. أم معتر هكسوسى .. ذلك هو السؤال..

عبد المأمور

زمان، وقبل أن يلغى للقانون نظام العبودية كان لكل مسئول كبير عبد، يسير وراءه وينفذ أوامره بلا نقاش، مهما كانت منحرفة أو تعسفية . ولم يخطر على بال أحد أن يحاسب ذلك العبد أو يعاقبه أو حتى يوجه اللوم إليه .. فالكل كانوا يعتبرونه ضحية هو أيضاً، بل ومفتري عليه، لأنه غير مسموح له بأن يناقش سيادة ألبه أو يراجعه، أو حتى ينحني عليه ويهمس في أذنه : "أيه اللي انت بتتهببه ده .. دانت حاتودينا في حديد !!" .

ولذلك كان المأمور يذهب إلى الحديد وحده، أما العبد، فيظل يبكي في حرفة وربما انتحر لأنه كان لا يجد مأموراً آخر يقتتيه ..

ويعتقد البعض أن هذه الأيام ولت وانتهى أمرها وأصبحت جزءاً من التاريخ . ولكن الحقيقة غير ذلك، ونظرة واحدة إلى عشرات المسؤولين الذين ألقى القبض عليهم مؤخراً وأدينوا بتهم الفساد والرشوة وخراب الزمم والاحتراف .. سنكتشف أن ذلك المسئول المنحرف لم يكن إلا رأس جبل من الثلج العائم .. فالرأس يطفو، ولكن السفن تصطدم ببقية الجبل وتغرق بسببه على الرغم من اختفائه تحت سطح البحر ..

فضفضة

وفى بلاد أخرى تزعم أنها ديمقراطية يتم القبض على عبد المأمور، وهم عادة كثيرون، وتوجه اللّتهم إليه . فإذا ثبتت مشاركته فى جرائم الفساد واستفادته منها كانت تلك مصيبة .

وإذا ثبت أنه لم يكن يعلم شيئاً وأنه كان يجاور المسئول المنحرف فى المكتب والعمل والاجتماعات واللجان .. الخ ويصاحبه ليلاً ونهاراً ويشهد كل زيارات المهمين وغير المهمين له ومع ذلك لم ينتبه لانحرافه .. فهذه مصيبة أعظم ..

ولأن تلك البلاد الأخرى، لا تعرف كيف تطبق النظام الديمقراطى مثلنا، فإن عبد المأمور لابد أن يقصى فوراً عن منصبه، سواء كان متهماً أم ثبتت براءته .. وهو يحرم من الاقتراب مرة أخرى من أى مسئول كبير، ويتحول إلى موظف قزم لا تطول هامته المسئوليات الكبيرة .

أما نحن، فلأننا نؤمن أولاً بمبدأ "الغطرشة"، وثانياً لأننا نفهم فى أصول الحكم وفنونه كما لا يفهم أحد فى العالم فإننا نتجاهل عبد المأمور، وننظاھر بأنه غير موجود، وبذلك نشجع بطانة كل مسئول كبير على الاستمرار فى إغرائه بالفساد، وتذليل كل العقبات فى طريقه نحو الانحراف .. فهم فى مأمن من العقبات، وعندما يساءلون ذات يوم : لماذا نفذوا أوامره وهم يعلمون تماماً أنها مخالفة للضمير

والقانون، فسجبيون جميعا وفي لسان واحد : وأنا مالى يابيه .. أنا كنت عبد المأمور ..

بهذه العبارة السحرية ينجو من الحديد كل مدير مكتب ووكيل ونائب وسكرتير خاص .. إلى آخر تلك الجوقة من المهرولين خلف المسئول الكبير .. ولعلمهم يتتهدون فى ارتياح عندما يلقى القبض عليه ويودع السجن .. ظنا منهم أن أحدهم سيحل محله، وسيكون له النصيب الأكبر عند القسمة .

ونحن، بهذه الطريقة العبقريّة نضمن أن يظل جبل الثلج مختفيا تحت سطح البحر، قابعا فى ظلمات المجهول، يتربص بسفينتنا الغافلة، فإذا ما اصطدمت به وغرقت فى دقائق معدودة، ألقينا العبء كله على القضاء والقدر .

أما فى البلاد الأخرى، غير الديمقراطية، فإنهم يعتبرون المحيطين بالمسئولين الكبار مشاركين لهم فى المسؤولية، من واجبهم أن يرفضوا التورط فى جرائمهم، وإذا كانت لديهم أدلة على تلك الانحرافات أعلنوها فورا وقدموا استقالاتهم احتجاجا ..

وحتى يتم عتق العبيد فى بلاننا، وتحرير كل الموظفين الكبار والصغار من سلاسل الخوف والارتزاق والنفاق، سيظل عبد المأمور

فضفضة

يرتفع في بلادنا، يرتكب من الجرائم ما يشاء، محتما بظهر المسئول الكبير، محرضا له على الفساد، هاتفا من أعماق قلبه : فلتحيا "الخطرشة" ..

سجلب فى سفينة نوم

كانت أحلام سيدنا نوح أن ينقذ البشر من الطوفان، فراح بينى سفينته ويحذرهم ولما جاء الطوفان ركب سفينته ومعه من استجابوا له، ونجا .

وكان حلم الفنان الكبير محمد نوح أن ينقذ الإنسان العربى من طوفان الفن الهابط الذى يكاد يغرقه بين كلمات أغان هابطة، وموسيقى لا تصلح إلا للعالم ونوادى الرقص ومسرحيات سطحية ينافس أصحابها ما يحدث فى كباريهات للدرجة العاشرة ..

ومنذ عرفت محمد نوح وأنا أرى حلمه الكبير يلمع فى عينيه، يمنحه الحرارة والتدفق والصدق التى لا تتيحها سوى موهبة كبيرة وإيمان عميق .

وها هو ذا نوح قد بنى سفينته .. مسرحه أخيراً . مسرح الجلاء الملحق بالأكاديمية العسكرية بمصر الجديدة . إنجاز رائع يستحق التهنئة من القلب لا لنوح وفرقته وأبناء مصر الجديدة فحسب، بل لمصر كلها ..

ولكن .. وآه من لكن هذه، وليتقبلها الصديق العزيز نوح من زميلة قديمة ومعجبة راسخة ..

فضفضة

كما كان نوح القديم صاحب رسالة ومخلصا ونجارا أراد نوح العصر أن يكون مؤلفا ومخرجا بعد أن أثبت وجوده كممثل وكموسيقي من الطراز الأول . بل أراد نوح أيضا أن يثبت أنه منتج جاد، يبحث عن الموضوعات الهادفة التى تعبر عن أزمات الناس وتطالب بالتغيير .

المسرحية تنتقد بشدة زحام القوانين فى حياتنا وتناقض بعضها مع البعض، وحيرة الشباب والناس وسط فوضى الروتين والفساد التى أصبحت رائحتها تزكم الأنوف . هذه هى الموضوعات الأثيرة اليوم لدى أغلب أفلامنا ومسرحياتنا . لكل يريد أن يركب موجة المعارضة، ما دامت تجد صدى طيبا لدى الجماهير .

ولكن عندما يفعل ذلك فنان كبير مثل نوح، فلا بد أن يضيف جديدا، ولا بد أن يقول كلمة مختلفة .. وللأسف فإن الجديد الذى أضافته مسرحية سحلب التى تعرضها فرقة النهار هذه الأيام لم يخرج عن الشكل .. إضافة إلى شاشتين لعرض بعض المشاهد، ورقتين وبعض المشاهد الجديدة مثل دخول سيارة مرسيدس آخر موديل (زلمكة) على المسرح .. الخ .

أما من حيث المضمون فهو لا يخرج عن ترديد ما ينشر فى صحف المعارضة وما يتردد على ألسنة الناس فى كل مكان . وهذا قد

قضية

يكون مناسباً لمقالة أو لسلسلة مقالات وليس لمسرحية ينفق عليها بسخاء ويضطلع ببطولتها عدة نجوم كبار من أحب الفنانين إلى قلوب المشاهدين وينتجها موسيقى عبقرى كانت له بصماته التى لا تمحى على الأغنية المصرية والمسرح الغنائى .

لقد تألق الفنان حسين فهمى كممثل كوميدى قادر على السيطرة على إعجاب الجماهير بدون أن يسف أو يبتذل أو يستعرض عبقريته فى الخروج على النص . ولمعت ليلى علوى كنجمة لها حضورها الطاغى . وإن كانت فى حاجة ماسة إلى التقليل من وزنها لتصبح بحق نجمة استعراضية من الطراز الأول . أما أشرف عبدالباقى فهو نوع جديد من الكوميديا الهادئة التى تثير الابتسام طول الوقت والضحك بشدة أغلب الوقت ولتوقع له أن يدخل قلوب المشاهدين ويحتل مكانا كبيرا فيها ..

أما عزيزة راشد ونادية عزت وهانم محمد وجمال إسماعيل ومحمد كامل فلم تسمح أدوارهم التقليدية بأى تألق أو إضافة .

إن مسرحية "سحاب" إضافة جيدة إلى مسرح هذه الأيام استطاعت أن تجذب أعدادا غفيرة من المثقفين وأبناء الطبقة المتوسطة الذى أحجموا طويلا عن متابعة ما تقدمه مسرحيات الرقصات والبهلوانات . ومع أنها قدمت الراقصة والمطرب الشعبى

إلا أنهما جاءا فى سياق ساخر وأثارا للضحكات والمرح .

وقد احتاجت سحلب إلى مجهود خارق من مؤلفها ومخرجها
ومنتجها محمد نوح لأنه أراد أن يجمع ما بين المتعة والفائدة وأن
يقدم لجماهير المسرح كوبا من السحلب الدافئ، الملىء بالفيتامينات
والأدوية ! النتيجة أن الفكر السياسى طفا فوق السطح كما تطفو حبات
القول السودانى، أما الأغانى والرقصات فقد كانت كالسكر، تذوب فى
السحلب وتضيف إليه الحلاوة والمتعة ..

وليتك يانوح أكثر من السكر فى سحلبك وقللت من القول
السودانى (الخطب السياسية) الذى يربك المعدة ولا يضيف جديدا .

فالتجيا المعلمة فضة

يزعم بعض المغرضين أن بلادنا السعيدة لا تتمتع بالقدر الكافى من الديمقراطية . وتتججج بعض السيدات فيظهرن على شاشة التليفزيون ليعلن بكل صفاقة أن المرأة لا تشارك بالقدر الكافى فى مرحلة صنع القرار، بل إن بعضهن لا يتوقفن عن الحديث فى الإذاعات والصحف حول نفس الموضوع مطالبات بأن يتم اختيار امرأة كمحافظة ..!

وأقول لهؤلاء إنه ليس مهما أن نجلس فوق مائدة الاجتماعات ونضيع الوقت فى إصدار القرارات، المهم أن نتربع على عرش القرار وأن يكون لنا الرأى الأول من خلف الستار . وهذا ما يحدث اليوم مع واحدة من بنات جنسنا تسمى المعلمة فضة المعداوى التى تتحكم بقبضة من حديد فى كل شوارع الاسكندرية، وفضة تعلن عن نفوذها وسطوتها من أن لآخر بأن تهدم عمارة شاهقة على رؤوس ساكنيها، لعل النائم يستيقظ والغافى يفيق .. ومع ذلك فلا حياة لمن تتادى ..

وبالنسبة عن المعلمة فضة أعلن أن عمارة لوران بالإسكندرية لن تكون الأخيرة، فشوارع بل أحياء بأكملها فى نفس المدينة تنتظر

فضفضة

فيها عمارات كثيرة نفس المصير .. سكان هذه العمارات بحث أصواتهم وجفت أqlامهم من الشكوى، بل إن نقابة البوسطجية اشتكت من كثر مراسيلهم وعيونهم لما بكت ذابت مناديلهم ..

ولكن، والحمد لله، المسئولون في بلادنا يصرون بكل إخلاص على اتباع مبدأ "الشكوى لغير الله مذلة" وحاول مرة واحدة أن تزور ما يسمى بمجلس الحى أو مجلس المدينة، وقابلنى لو وجدت موظفا واحدا يرد على سؤالك أو يحل لك مشكلة .. إنهم جميعا مشغولون لشئوشتهم فى أمور أهم كثيرا جدا من مشاكل الشوارع والعمارات والمجارى والنظافة .. إلخ ومثل تلك الأمور التافهة .

وهو أمر قد يبدو مستكرا فى بلاد أخرى لا تفهم للديمقراطية فهما سليما . أما فى بلادنا السعيدة فهذه الروح المتسامحة، المتفاهمة قد جعلت شخصيات مثل المعلمة فضا تتألق وتبدع ..

وآخر ما تفتت عنه عبقرية المعلمة فضا لحل مشكلة الإسكان، التى حار فى حلها كل للولدان، أن تبنى عشرين دوراً مثلاً فوق فيلا لا يحمل أساسها سوى دور واحد أو دورين فقط .

وهكذا تحولت شوارع بأكملها فى أحياء الرمل إلى غابات من الأسمنت . نشط أتباع المعلمة فضا فنزعوا الأخضر وحولوا الحدائق

فضفضة

المحيطة بالفيلات إلى بيوت سكنية تزدهم بالعائلات أما الفيلات نفسها فما بين غمضة عين وانتباهتها نجد أنها قد استطالت وتمددت وتحولت إلى عمارة .

وفي شارع واحد فقط هو شارع ٣٦ بسيدى بشر، الذى كان اسمه شارع الصحة، والذى أصبح اليوم يسمى شارع الشيخ محمد بشير الشندى، تجرى على قدم وساق مجهودات المعلمة فضاة الخارقة لحل مشكلة الإسكان، ومشكلة الانفجار السكانى بالمرّة .

وهكذا تضرب المعلمة فضاة عصفورين بحجر وتحل للحكومة مشكلتين بضربة قاضية واحدة .

ومن هنا أوجه تهنئتي الحارة إلى الضمائر الميئة والنفوس الجشعة التى لا تشبع، والتى نترك للمعلمة فضاة وأمثالها الحبل على الغارب .. وأقترح على الوزير الهمام حسب الله الكفراوى أن يخصص تلك الشقق الهشة التى يبنيها الجزارون وتجار الساكسونيا فى شارع ٣٦ لإسكان رئيس حى المنتزه وعائلته وأقاربه وأتباعه ومحاسبيه .. فهم جيراننا، والجار أولى بالشفعة . وما يحدث بشارع العلة (الصحة سابقا) ليس إلا نموذجا مصغرا لما يحدث فى آلاف الشوارع بالاسكندرية وغيرها .

ولأن كلامى هذا لن يجد صدى لدى أى مسئول وستظل فضة
المعداوى تعربد فى شوارع الإسكندرية حتى تسقط عشرات العمارات
الأخرى، فإننى أقول للحاقدين والشامتين ليس مهما أن يفقد السكان
الأبرياء أرواحهم تحت أنقاض الجشع والتسيب والأثانية .. المهم أن
تسود روح المودة والانسجام بين أبناء الوطن الواحد .. من أصحاب
العمارات والجالسين خلف المكاتب .
ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد ..

منوع الحب

امتى الزمان يسمح يا جميل، واقعد معاك على شط النيل، أغنية جميلة كان يترنم بها الفتى الأول لعصره، وبلبل كل عصر الراحل عبدالوهاب . ولكنها فى عصرنا الحالى تحولت إلى وثيقة إدانة ضد النيل، اكتشفت السلطات المعنية بتهذيب وإصلاح الإنسان المصرى أن نهر النيل يلعب دوراً كبيراً فى ترقيق مشاعر الناس وتحريضهم على الحب، وأنه عامل أساسى فى نشر مشاعر الود والإعجاب بالجمال، والأدهى من ذلك كله أن النيل واحد من عناصر الطبيعة، أى أنه يعود بالإنسان إلى فطرته التى خلقه الله عليها .

والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، تم بسرعة تدارك الموقف، ونشطت أجهزة وهيئات ومؤسسات الخ إلى التفكير والتدبير ثم التنفيذ، وتم بعون الله إخفاء النيل عن عيون الشباب بل والأطفال والكبار من الرجال والنساء، وكل من يملك قلباً يخفق، ونفساً تهفو، وهوى يميل ..

صارت مصرنا المحروسة اليوم تخاصم النيل، وتعاقبه على وجوده بإلقاء القاذورات فى جوفه، وتسميمه بالحيوانات النافقة وتسليط النباتات المائية لتلتهم خيراته وتمد منافذه وتعرقل سير

العشاق من هواة التجديف أو التتزه فى المراكب الشراعية .

أما هواة التمشية على الشاطئ فإن هناك من يقف لهم بالمرصاد، ويسد عليهم كل الطرق وكل المنافذ، فلا تكاد تجد مائة متر على بعضها دون أن تحيلها مبنى، أو يسدها سور، فإذا أفلتت مساحة هنا أو هناك تحولت على الفور إلى مقلب زبالة تطفش رائحته أعتى العشاق .

هكذا أصلح الجيل الحالى أخطاء أجداده الذين كانوا يحتفون بالنيل ويقدمونه، ويلقون بين أحضانه بتمائيل جميلة، يزفونها إليه كل عام ويطلقون عليها لقب "عروس النيل" ..

إننا نتوجه بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى أولئك المسؤولين الذين لا يهمدون من العمل ليلاً ولا نهاراً، ولا يكون من تنغيص عيشتنا، والتكيد علينا بكل الطرق، فقد أفلحوا فى أن يفتلوا الحب من قلوبنا لأنه عيب وحرام وقلة أدب، وأن يزرعوا محله الملل والقرى والقبح، وكل ما من شأنه أن يقوم سلوكنا، ويعود بنا إلى عصر الغابة. هكذا نستطيع أن نعيش عصر المتغيرات والانقلابات السياسية الحادة، وأن نواجه أزماتنا الطاحنة بلا مسخرة وقلة حياء .

وإننى من جانبى أهيب بأولئك المسؤولين أن يظلوا على يقظتهم

فضفضة

والأ يدعوا الفرصة تفلت من أيديهم، حيث أننا نعيش العصر الذهبي للارتداد إلى الخلف، والعودة إلى الجاهلية، ونرفض أى تقدم اجتماعى أو علمى أو سياسى ونضرب بيد من حديد كل من يدعى أن الزمن يتحرك، أو أنه يتقدم إلى الأمام ولا يعود مطلقاً إلى الوراء. إن هذه الترهات والأفكار المستوردة من الفرنجة يفشيها بيننا عملاء الاتحاد السوفيتى المنحل .

ويا أعداء الاستتارة لتحذوا، ولا تهن عزيمتكم . صادروا أى كتاب يدعو إلى تنفس الهواء المنعش واقصفوا كل قلم يدعو إلى الجمال، وحطموا كل أصنام الفن والفكر، لكى تصححوا مسيرتنا ولنقف صفاً واحداً نغنى بكل خشوع :

امتى الزمان بسمح يا جميل واغرق معاك فى قاع النيل ..

عيب يا جميلة !!

ثبت بالدليل القاطع أن شكوك وهواجس المطالبين بعودة للمرأة إلى البيت كانت في محلها . لقد بحث أصوات هؤلاء المساكين وهم يحذرون على مدى أربعة عشر قرنا ونصف من مكر المرأة ودهائها ونقص عقلها والعواقب الوخيمة التي ستعود على المجتمع إن سمح لها بأن تغادر قمم الرجل وتنفس هواء معبأ بالأكسجين .

وما هي إحدى بنات حواء تطلع برأسها من القمقم وتتظر حولها فتهميم بالشمس وتعشق الخضرة وتذكر أن الخلاص الأول لكل مشاكنا يكمن في أرضنا للخصبة الطيبة ..

وكما يقولون .. "القلب القدرة على فهمها تطلع البنت لأُمها" . فصاحبة هذه "الفضيحة" مهندسة تدعى جميلة، أمها كانت مدرسة، تعلمت وتورت وتخرجت في كلية الآداب، وعرفت أن في الأرض المصرية الخصبة خيرا ما بعده خير، فاشتريت قطعة أرض بور، وراحت تبذل الجهد والوقت والمال لكي تورثها إلى أبنائها حديقة غناء ..

وبالفعل ورثت ابنتها للحديقة وورثت معها عشق الخضرة والتشبث بعناد بالحق في الحياة . ولكن على مين !! في بلادنا،

فصفضة

والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، يستأثر فيها بالمناصب العليا القيادية الذكور فقط، جاء محافظ بعد محافظ لينقذوا الأرض الخضراء من يد "جميلة"، ويحولوها بالعافية إلى مأخذ لمحطة مياه، استدانوا لإنشائها قرضا يبلغ ستين مليوناً من الجنيهات.

وعلى الرغم من أن القانون يفرض أن يبعد مأخذ مياه المحطة بمقدار كيلو متر واحد على الأقل (ألف متر)، وبذلك يبعد كثيراً عن أرض المهندسة إلا أن السادة المحافظين اكتشفوا أن المشروع الأساسى سيمر فى أرض أحد أقارب نائب من نواب مجلس الشعب .

ولأن العين لا تعلو على الحاجب، والمياه لا تجرى فى العلى فقد صدرت الأوامر إلى قوات الأمن المركزى لتذهب فى التو واللحظة، وتقتلع أشجار جميلة، مخالفة بذلك للقرارات العليا والقوانين، ولو، المهم ألا تنتصر امرأة على عدة رجال، وألا تساوى العدالة ما بين فرد عادى لا حول له ولا قوة ونائب من نواب الشعب.. فالنيابة شرف لا يمكن أن يغادر حامله مهما ارتكب من المخالفات والمحسوبيات واستغلال النفوذ.. سواء كان فى المجلس أم خارجه ..

هذه هى قوانين بلادنا منذ عهد الفلاح الفصيح الذى استولى أحد الموظفين الكبار على حصته من القمح . ولأن العقلاء فى بلادنا يدركون أن المرأة ستتشأ على طبع جدها إن هى تعلمت وعملت

فضفضة

وخرجت من القمم، فقد نشطوا يحذرونها من الخروج ويرفعون
الراية السوداء معلنين قدوم الخطر على يديها ..

وها هي المهندسة جميلة قد اثبتت حرفيا كل ما قاله حكماؤنا
الأفاضل، فلم تهدأ لحظة وراحت تدبج الشكاوى فى كل الجهات
المسئولة وغير المسئولة حتى وصل صوتها إلى رئيس الجمهورية ..

إنها مؤامرة من النساء على الرجال، دبرتها رئيسة قسم
التحقيقات الصحفية بجريدة الأهرام الزميلة بهيرة مختار، ونفذتها
الزميلة الصحفية أهداف البندارى، اللتان وقفنا إلى جانب المهندسة
جميلة . وانحازت النساء الثلاث انحيازاً فاضحاً إلى جانب الحديقة
(مؤنث !!) والخضرة (مؤنث أيضاً) والأرض الطيبة (مؤنث بلاشك).

وبذلك هزم من روح المتردد والتعصب والمحسوبية لدى
محافظين ثلاثة وأثبتن أن المرأة تأبى الظلم وترفض الهزيمة .

الأمر الذى جعلنا ننضم إلى أصوات أهل الكهف من المطالبين
بالحاح مريب بعودة المرأة إلى البيت، وأن نطالب مثلهم بأن تكرم
كل نساء مصر قواهن ومواهبهن ووقتهن وعمرهن لتخريط البصل
و.. لزوم عمل "الكوسة" حتى تمتلئ كروش أهل الكهف ويتجشأون فى
راحة بلا إزعاج من جميلة وأمثالها ..

ويجعل كلامنا خفيفاً عليهم ..

ما عيب .. إلا العيب !

يعارض البعض وجود قوانين استثنائية فى بلادنا، ويسمونها "القوانين سيئة السمعة" . والواقع أن الاسم الحقيقى فى شهادة ميلاد تلك القوانين "المظلومة" هو قوانين العيب، وهو اسم كما ترون يتفق كثيرا مع تقاليدنا "القروية"، وقعدة المصطبة التى يرتاح عليها كباراؤنا، فترى الواحد منهم مثل شيخ البلد، يحمل فى يده عصا طويلة، يلسوح بها يمينا ويسارا وهو يصيح : عيب يا ولد .. عيب يا بنت !..

وفى رأى أن معارضة مثل هذه القوانين هو خروج عن طبيعتنا الفرعونية الأصيلة، وهو افتراء ما بعده افتراء . فهل يريد هؤلاء المعارضون أن تلغى قوانين إعادة الأخلاق إلى الإنسان المصرى، وتهذيبه، وتعليمه أصول الوحدة الوطنية، والضرب بيد من حديد، أقصد بيد المدعى الاشتراكى، على كل جريمة نهب وسلب يتعرض لها المواطن المصرى ..؟

هل يريدون ترك الحبل ع الغارب لكل من يتصور نفسه مفكرا أو مصلحا أو تقدميا، أولئك الذين يطلق عليهم صفة "المتقفين" وهم والحمد لله أقلية مطلقة فى بلادنا السعيدة، وشرذمة يحق لنا أن نتجاهلها، ونقاوم أفكارها المستوردة الهدامة ..

فضفضة

إن الذين "طبخوا" قوانين العيب، وسووها على مهل، وفرضوها على الشعب المصرى، ويلقونها له بالملعة كما السدواء المر - هؤلاء يعرفون تماما ماذا يفعلون ..

ولنتأمل معا واحدا من تلك القوانين المفترى عليها، قانون المدعى الاشتراكى . لقد اكتشف أولو الأمر فينا أن القوانين المصرية - على كثرتها - ليست كافية لعقاب المنحرفين وهواة امتصاص دماء الشعب المصرى . فالقوانين الأصلية قد تتسبب فى حبس عابرة الاقتصاد الحر، الذين طفحوا فجأة على سطح الحياة المصرية منذ السبعينيات وعملوا بكل همة ونشاط على تخريب الاقتصاد المصرى .

فبدلا من الاستجابة لمطالب المودعين فى شركات توظيف الأموال وتحويل أصحاب تلك الشركات وكل من ساندوهم وساهموا فى خداع الناس معهم إلى النياية العامة، يحول الريان والسعد والشريف وغيرهم إلى المدعى الاشتراكى . وهو حل - لو تعرفون - ماهر، تفتق عنه ذهن بعض المسؤولين للتحايل على هؤلاء وتقبييل أياديهم كى يعيدوا الأموال إلى أصحابها بالذوق .. وعفا الله عما سلف .. وكل حى يروح لحاله ..

هذه هى الروح المصرية الأصلية . ولا ينكر عاقل أن ثمة

فضفضة

إعجابنا دفيناً يرقد في أعماق الوجدان المصري بالحرامية "على تقبيل" حتى أنهم يسمون في أدبنا الشعبي "بالشطار"، وقد كتبت ورددت أغاني وألحان ملحمة شهيرة حول أحدهم جعلت منه بطلا مغوارا .. ثم أننا ننشأ ونتربى على حجور جدلتنا اللاتي يرددن على أسماعنا كل يوم المثل الشهير : إن عشقت اعشق قمر .. وإن سرققت اسرق جمل ..

ولعل هذا هو سر إقبال الجماهير المصرية الغفيرة التي كانت تتسابق إلى مقار تلك الشركات وتحتشد بالساعات في طوابير طويلة أمام نوافذ تلقى الأموال، تتوسل إليهم وتستحلفهم بأغظ الأيمان أن يقبلوا أموالهم .. ولا يوجد ما يثبت إطلاقاً أن أحداً أجبر مواطناً مصرياً على بيع ما وراءه وما قدامه من عقارات وأراض، بل وشركات ليقدمها لقمة مائغة للحاج أشرف أو الحاج ريان أو أبناء أبو حسين ..

اللجوء إذن إلى حلول استثنائية في مثل هذه الحالة الطارئة، ليس عيباً . صحيح أن المركز المالي لشركات تهلب الأموال ليس واضحاً، وقد قدمت هي أرقاما تختلف عما قدمته هيئة سوق المال، وأيضاً المدعى الاشتراكي . وصحيح أننا جميعاً نعلم أن تلك الميزانيات التي احتلت صفحات كاملة من صحفنا السيارة لا تمت إلى

فضفضة

الحقيقة فى شئ ، إلا أن هذا كله لا يعطينا الحق فى أن نحلم بإعادة الهاربين خارج البلاد إلى دخلها، كى نتاح لنا فرصة تمزيقهم إربا بدعوى أن حكومتنا الرشيدة قد دلتهم إلى حد الإفساد . هذا غير صحيح على الإطلاق كل ما فى الأمر أن عملية "تلفيق" أوضاع شركات توظيف الأموال التى تجرى حاليا بكل همة، تؤمن بالحكمة الشعبية الأصيلة : سرقوا الصندوق يا محمد .. لكن مفتاحه معايل .. ونحن جميعا فى انتظار الصندوق .. فهل هذا عيب !..

عصر ألف ليلة ..

يعتقد البعض أن عصر المعجزات قد ولى وفات، وأنه لم يعد بالإمكان أن تتحقق المستحيلات، أو أن تتغير الأمور تغييراً جذرياً في بضع لحظات، فنحن في عصر العلم والتكنولوجيا، ولم نعد في عصر الأساطير والحكايات ..

ففى ألف ليلة وليلة قرأنا مرات ومرات أن فتى كسولاً غيباً عاقاً لأمه يدعى علاء الدين عثر فى مكان مهجور على مصباح بال مكسور، ما إن لمسه حتى انطلق فى الجو مارد عملاق صاح بأعلى صوته : شببك لبيك .. عبدك وبين إيديك ..

ومنذ أن قرأنا تلك الحكاية ونحن نحلم بالمصباح القديم والمارد العملاق اللذين سنحقق عن طريقهما كل أحلامنا ونحول لون الحياة إلى بمبى .

والمر الذى لا يعرفه أولئك المتشائمون، أن البعض منا قد ورث من عصر ألف ليلة وليلة قلماً سحرياً يفعل المعجزات، ويفوق فى سطوته وتأثيره مصباح علاء الدين .

بجرة من ذلك القلم يصعد فرد عادى جداً فى الذكاء محدود الكفاءة والقدرات إلى قمة جبل الشهرة تطاردا صورته فى الإذاعة

فضفضة

الرئية وعلى صفحات الجرائد الحكومية ويقال لنا إنه سيحل مشكلاتنا العويصة بين يوم وليلة وتجهد ذهرك لتعرف لذلك الفرد تاريخا نضاليا أو فكرا جادا أو موقفا مشرفا ..أو..أو.. ولكن الأسابيع والشهور تنقضى وأنت عاجز عن معرفة السبب الذي اختير من أجله ذلك الفرد بالذات ..

وأخيرا نتخلص من فضولك وتتقبل الأمر الواقع ثم فجأة .. ويجرة قلم سحرى ينحى ذلك المسئول عن مناصبه، ويختفى فى ظلام النسيان ثم نقرأ فى زاوية مهمة من صحيفة يومية أو فى الصفحة الأولى من صحيفة حزبية أنه قد حول إلى المحاكمة بتهمة كذا وكذا.. ولا يهم إن كان ذلك المسئول مديرا للأوبرا أو مدربا رياضيا أو وزيرا أو غفيرا ..

المهم أننا نتسلى كثيرا بضرب الودع وقراءة الأكف والكوتشينة ونستشير المنجمين لكى نعرف لماذا جاء .. ولماذا ذهب..؟!

ولا تكتفى الأفلام السحرية بتسليتنا وإضحاكنا على شر البلايا، وإنما تفعل ما كان يفعله مارد علاء الدين فتهدم قصورا فى غمضة عين وتبنى مكانها عمارات شواء معدومة الجمال .

وتحول أراضى زراعية خضراء إلى أراض بور وتسمح

فضفضة

لبعض "الأصدقاء" بتجريف تلك الأراضي وبيع ترابها لمصانع الطوب، ثم بجرة قلم أخرى تدخل تلك الأراضي في كردون المدن وبعد أن كانت تباع بالفدان أصبحت تباع بالمتر الواحد ويتحول أصحابها - بجرة قلم - إلى مليونيرات .

ويقولون إننا لم نعد في زمن المعجزات !.. هل يذكر هؤلاء مثلا كيف كانت القاهرة منذ سنوات قليلة تستمتع بلحظات هدوء رائعة بعد إغلاق المحلات التجارية في الخامسة مساء . وكم عدد الكيلوات/ ساعة من الطاقة الكهربائية التي أجهد مسئولون عقولهم ليقتنعوا بأن تلك المواعيد الجديدة ستوفرها وستوفر معها ملايين الدولارات .

وهل يذكرون أيضا ذلك القرار العاجل بأن تصبح الأجزة الأسبوعية للدواوين الحكومية يومين بدلا من يوم واحد، وطبق فعلا ذلك القرار لعدة أسابيع .

بجرة قلم سحرى ألغيت تلك القرارات وفي دول أخرى "متأخرة ديمقراطيا" لا يمكن أن تتم أمور كهذه إلا بعد استشارة الناس وإجراء استفتاء بينهم لا يجرؤ مسئول على مخالفة نتيجته ..

أما نحن، الذين مازلنا نعيش عصر ألف ليلة وليلة فإن الأقلام

السحرية التي عثرت عليها قبيلة علاء الدين تتحكم فى مصائرنا وقد
نصحو ذات يوم لنجد أن قلما سحرى قد أصدر قرارا عاجل التنفيذ
غير قابل للمناقشة أصدره قراقوش صغير فى مكان ما بأن يمنع
الشعب المصرى من أكل الملوخية طوال شهر رمضان، ثم يأتى
قراقوش صغير آخر ليصدر أمرا بالآلا يأكل الشعب المصرى سوى
الملوخية طوال شهر الصيام، وكل سنة وأقلام علاء الدين السحرية
بخير ..

البعض يفضلونها "خواجاية" !

من حق القانون المصرى أن يكون مثل بعض الرجال المصريين، فيفضل المرأة الشقراء ذات اللسان المعوج، أو التى لا تجيد كلمة عربية واحدة، فضلا عن نشأتها فى جو ومجتمع يختلف جذريا عن مجتمعنا العربى الإسلامى ..

هذا القانون قانون الجنسية، ومع أن الجنسية لفظ مؤنث فى لغتنا العربية إلا أنه لا يمنح إلا لأبناء المصرى فقط، أما الأم المصرية فليس من حقها أن تمنحه لأبنائها إن هى تزوجت من رجل أجنبى .

وقد أثبت هذا القانون الذى شرعه الرجال وحدهم، أنه قانون "حمش" ويغار على "حريمه المصريات" ولا يطيق أن يخرج عن طوعه، فيصبح زوجات لرجال من جنسية أخرى . فإذا تساللت إحداهن من خلف ظهره ووقعت فى غرام رجل "غريب" ثم تزوجته على سنة الله ورسوله وأنجبت منه للصبيان والبنات وعاشت معه فى ثبات ونبات، فإن هذا القانون "الدكر" يكشف عن أنيابه ولا يجد حلا للانتقام منها سوى توقيع أقصى الجزاء على أبنائها .

إنه يحرمهم من "النبات" أى العيش فى استقرار، "والنبات"، أى النشأة والنمو فى أحضان وطنهم ووطن أمهم مصر .

فضفضة

وقد أثبت هذا القانون، قانون الجنسية المصرية، صرامته
الفظيعة وثباته على المبدأ وجسارته التي لا مثيل لها، فهو يعرف
تماماً أنه يخالف الدستور المصرى، خاصة المادة ٤٠ التى تنص بكل
وضوح على أن كل المصريين سواء أمام القانون .. وهو يتجاهل
هذه المادة عينى عينك ويقرر بأعلى الصوت أن المصريين ينقسمون
إلى فئتين الخيار : الرجال، والفاقوس : النساء .

لذلك فمن حق المصرى "الخيار" أن يحتفظ بجنسيته المصرية
له ولأبنائه ولزوجته الأجنبية حتى إذا ما هاجر من مصر واستقر فى
بلد آخر وحصل على جنسية هذا البلد هو وعائلته .

أما المصرية "الفاقوس" فهي تحرم من حق الاستقرار مع
أبنائها فى مصر، ويحرم أبناؤها من حق مجانية التعليم فى المدارس
المصرية، وإذا التحقوا بالجامعات فلا بد أن يدفعوا مصاريف باهظة
وبالعملة الصعبة . وأما بعد التخرج فإن هؤلاء الأبناء من صنف
"الفاقوس" يحرمون أيضاً من العمل فى مصر .

ولسوف ترتفع أصوات وتتهم الرجل المصرى بالفرقة
العنصرية ضد المرأة المصرية، مما يخالف روح ونصوص الاتفاقية
الدولية لعدم التمييز ضد المرأة التى وقعت عليها مصر ..

فضضة

ولكن على هؤلاء أن يتعلموا المبدأ المقدس والذي لا يمكن أن تحيد عنه حكوماتنا المصرية الرشيدة وهو أن "الراجل رجل والست ست" أو حسب الأقوال الشعبية للسائدة "الكبير كبير والنص نص نص نص .. والصغير مائعرفوش ..".

هذا المبدأ الشعبى "الرائع" مطبق حرفيا فى قانون الجنسية المصرية وليذهب الدستور وكافة القوانين الدولية إلى الجحيم . فليس من المعقول أن يستجيب مجلس الشعب لصرخات وتأوهات ودموع مئات الآلاف من المصريين وأبنائهن، مهددا بلد الأمن والأمان بانفجار سكانى مروع عندما يزيد عدد المصريين (وعددهم الآن خمسة وستون مليوناً) عدة آلاف آخرين .

إننى أخشى أن تضعف عزيمة مجلس شعبنا الموقر، وخاصة أن على رأس لجنته الدستورية الآن سيدة نوقرها جميعاً هى د. فوزية الدستورية، فيصدر قراراً بتعديل المادة الثانية من قانون الجنسية كى تتلاءم مع روح ونص الدستور للمصرى وحقوق الإنسان وكافة الشرائع السماوية .

فالوقت ليس منامياً، ونحن فى عيد الأم، وعيد الربيع، ونكرى ثورة ١٩ وكل شىء جميل فى حياتنا، لأن نمسح دمعة من فوق خد الأم المصرية، ونحرمها من شرف الحياة فى بلدها كفافوس وليس خياراً . وكل عيد أم وأنتم طيبون ..

مصر .. الأمن والأمان

أثبتت الأيام بما لا يدع مجالاً للشك صدق نظرية "مصر بلد الأمن والأمان" والدليل الوحيد على ثبوت هذه النظرية هو إصرار رجال الأمن على عدم الاضطلاع بمهمتهم الرئيسية ووظيفتهم الأساسية ألا وهي حفظ الأمن في الشارع المصرى .

فمهما يحدث من جرائم لم يسبق لها مثيل فى تاريخنا كله من هنك عرض واغتصاب وسرقات بالإكراه وقطع طريق .

ومهما يتكرر من حوادث عادية ألفناها كالنشل واختطاف السلاسل الذهبية من رقاب النساء ومشاجرات وحوادث مرور .

كل هذا لن يقنع رجال الأمن فى بلدنا بالحاجة الماسة إلى تغيير جوهرى فى خطط الأمن والنزول إلى الشارع وحماية المواطنين العزل من ذئاب الطريق .

فالمعروف عن رجال الأمن المصريين بالذات أنهم من ذوى الرؤوس الصلبة .. لا يحيدون قيد أنملة عن قناعاتهم .

والحق أنهم على حق .. فماذا يحدث لو تكررت جرائم الاغتصاب لفتيات بريئات ونساء شريفات ؟!

وماذا سيجرى على لو أن نساء مصر ورجالها أصبحوا يعانون من كوابيس بشعة يشاهدون فيها بناتهم وهن يغتصبن فى

عرض الطريق وعلى مسمع ومرأى من الزوج أو الخطيب أو الابن
أو حتى الصديق ؟!

إن الدنيا لن تهدم من تكرار تلك الحوادث

فالمهم أولا وأخيرا أن يظل المسؤولون عنا على مبدئهم الخالد
وهو "الشعب فى خدمة الشرطة" وقد صرح ضابط برتبة كبيرة على
إثر فزع الصحفيين إليه بعد اغتصاب فتاة فى موقف أتوبيسات
العتبة : هو كل حاجة الشرطة ؟! لماذا لم يتحرك المواطنون الذين
كانوا يزحمون المكان ليدافعوا عن الفتاة ؟!

وهكذا تخلق ذلك الضابط بكل بساطة عن المهمة المقدسة التى
أوكلت إليه وإلى زملائه يوم أن عينوا فى وظائفهم .. وهذا يعنى أن
كل مهنة أخرى يمكن أن تفعل نفس الشيء، فيطالب الأطباء الناس
العاديين بأن يقوموا بإجراء عمليات جراحية خطيرة للمرضى، ويقوم
الناس العاديون أيضا بتصميم العمائر الضخمة وإصلاح أعطاب أعقد
الماكينات .. وهلم جرا ..

فى هذا العصر الرخو يصبح من حق كل مواطن ومواطنة، بل
من واجبهم، أن يحملوا سلاحا ليدافعوا به عن أعراضهم .

ولنتوقف عن انتظار الحماية من الشرطة لأن الشرطة أصبحت
اليوم مشغولة ومهمومة بأمور أخطر وأهم كثيرا من متابعة جرائم
الاغتصاب والبلطجة فى الشارع المصرى .

فضفضة

فالشارع المصرى، وبالذات فى العاصمة الكبرى، ليس موجودا فى خريطة اختصاصات رجال الأمن . ومنذ عقدين كملين، وكل صاحب رأى فى مصر لا يمل من المطالبة بعودة الأمن إلى مهمته الأساسية وهى حماية المواطن المصرى ولكن المشكلة أننا جميعا نتحدث باللغة العربية بينما المسئولون عن الأمن فى مصر مازالوا يتحدثون ويتعاملون باللغة الهيروغليفية .

وقد رأى البعض أن الطريق الأمثل لإقناع هؤلاء بخطورة ما آل إليه حال الشعب المصرى أن ترتكب أبشع جريمة فى القرن العشرين .. اغتصاب فتاة بريئة أمام المنات بل ربما الآلاف من الآباء والأمهات والأشقاء و

المصريين أهمه .. حيوية وعزم وهمة .. فهل بلغت الرسالة .. أم لابد من ارتكاب عشرات الجرائم الأخرى التى ستفوق بالطبع هذه الجريمة فى الوحشية والوقاحة والسفالة ؟

هل سيعود إلى الشارع المصرى ضابط الأمن الذى يتحمل مسئوليته بشرف وشجاعة ويحظى باحترام الجميع ويرمز لهيبة الحكم ويملك الضبطية القضائية والإمكانات العصرية للتصدى لكل ما جلبه علينا عصر كامب ديفيد والانفتاح والسلام الإسرائيلى والتعصب الدينى والتطرف والإرهاب السياسى ؟!

- أم أننا سنظل نردد موال : مصر الأمن والأمان .. و .. عمار .. يا مصر ..

عادى جدا

أننى أخالف، وبشدة من المواطنين الذين ثاروا ورفضوا تعليقات السيد وزير الداخلية فى مجلس الشعب عن حادث فتاة العتبة

فالرجل كان صادقا فى وصف الواقع المصرى اليوم . لقد أصبح شيئا عاديا جدا أن تمتهن كرامة المرأة المصرية علنا، فى أعمدة بعض كتاب الصحف وخطب بعض الدعاة، ومطالب بعض ممثلى الشعب فى المجالس المنتخبة ..

شئ عادى جدا أن ترتفع أصوات تزيين للعامية أهمية أن تعود المرأة إلى ما كانت عليه وقت الأسلاف من مئات السنين، فالمفروض ألا تتطور، وألا تتغير مع الزمن ودورها الوحيد فى الحياة أن تكون كالشمعة التى تحترق لتضىء حياة الآخرين ..

شئ عادى جدا أن تتركز مطالب بعض الجماعات المتطرفة فى اعتبار المرأة كلها عورة، الوجه والكفين والجسد كله والصوت .. إلخ مخالفين بذلك سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

شئ عادى جدا فى بعض محافظات الجنوب أن تطارد فتيات بريئات فاضلات وتضربن بالعصى والسياط لأنهن لسن منقبات .

كل هذه الأمور باتت روتينية ومعادة ومكررة إلى حد الملل في حياتنا في الربع الأخير من القرن العشرين .. ولذلك ليس عجيبا أن تصدر قوانين تحرم المرأة من بعض حقوقها الأساسية وتعاملها كما لو كانت مواطنا من الدرجة الثانية، مخالفة بذلك دستور البلاد .. اعتدنا على هذا كله، حتى أصبح من يعارضه أو يرفع صوتا ليصلح بعض الأخطاء يبدو كما لو كان لحنا نشازا وسط سيمفونية من الانسجام .

فلماذا نلوم وزير الداخلية .. شيخ العرب ؟!..

إن المتأمل لمسرح الأحداث لابد أن يقر بأن الجريمة التي وقعت مساء الخميس ١٩ مارس الماضي لم تكن سوى مشهد من مسرحية بدأت منذ مدة ولم يهبط ستارها بعد ..

المكان مزدحم إلى أقصى حد، خافت الإضاءة، معدوم الحماية .. كل من يمر به يتمنى أن يغادره فوراً لينجو بحياته ومحفظته من البلطجية والنشالين والضوضاء الرهيبة ..

وفي مثل هذا "الديكور" تستيقظ الغرائز المكبوتة، وتتجول الذئاب البشرية باحثين عن فريسة يفرغون فيها رغباتهم .

ووزارة النقل العام ووزارة واقعية تؤمن بالحكمة التي ردها

فضفضة

سعد زغول قبل وفاته : "مافيش فايدة" فهى لم تحاول أن تنظم خدمة الأتوبيسات العامة، ولا أن تزيد أعدادها .. ولماذا تفعل !؟

ومحافظة القاهرة هى أيضا محافظة واقعية تعلم أن بالقاهرة الكبرى مائة مكان أسوأ وأبشع من هذا المكان .. فلماذا تحسنه أو تطوره أو تزيد إنارته ..!؟ إن القذارة والفوضى والزحام والبلطجة أمر عادى فى القاهرة ..

كذلك وزارة الداخلية لم تفكر مطلقا فى إقامة كشك أمن، أو تخصيص دوريات تتجول بالأماكن المزدحمة ليلا ونهارا، تحمى المواطنين العزل من بطش اللذئاب وجرزان الليل ..

وهؤلاء جميعا معذورون فى سلبيتهم المطلقة تجاه راحة المواطن المصرى الذى لا يشكو ولا يعترض، وإنما ينفث عن سخطه بطرق فردية عشوائية سرية، وأحيانا علنية ..

وصحيح أن هذا الحادث البشع لم يكن الأول من نوعه، فمحاضر الشرطة بالموسكى سجلت حادثا مماثلا له فى رمضان الماضى، وحادثا آخر قبله بيوم ثم حادثا ثالثا بعده بيوم .

نفس السيناريو تقريبا .. نفس المكان .. الزمان قبيل منتصف الليل أو بعده .. الضحية شابة فى العشرينيات .. الجناة مجموعة من

فضفضة

العاطلين .. الأسلوب الحيوانى يبدأ بالتحرش بالفتاة أثناء الصعود إلى الأتوبيس .. واحد يشل حركتها والثانى يمزق ملابسها والثالث يهتك عرضها ..

ولسوف تسجل حوادث أخرى .. ولم لا .. ما دام هذا الأمر ينظر إليه على أنه عادى جدا .. وما دام البعض لا يبدو متحمسا لاعتباره جريمة شاذة يجب ألا تتكرر مهما كانت الأسباب .

الوزير إذن معذور .. والغاضبون ليس عندهم حق .. فلسوف نثور وننفعل كعادتنا ثم تجرفنا همومنا اليومية وننشغل بحوادث أخرى قد تكون أبشع وسرعان ما يعود المكان إلى سابق عهده و تعود الذئاب البشرية إلى ممارسة هواياتهم .. عادى ..!

العين بالعين

بطريقة مبتكرة لم يسبق لها مثيل احتقلت مصر فى مارس
الماضى، شهر الثورة والمرأة والربيع، بدفن البراءة .

وفى مشهد مهيب شيعت جنازة الفقيدة، حيث سار خلفها ملايين
الأطفال والمراهقين والشباب المصريين، الذين علموا باغتيالها فى
أزحم ميدان بالقاهرة، وعلى مرأى ومسمع من آلاف الإخوة
والأخوات والآباء والأمهات .

تابع أبناؤنا على مدى شهر فى جميع الصحف المصرية
وبالتفصيل الممل أحداث ووقائع الجريمة . ومن لم يفهم منهم سمع
شرحاً وافياً من زملائه .

لقد أصبح أبناؤنا والحمد لله مثقفون بل متفهمون فى كافة
الأمر الجنسية، الأمر الذى ينفى بشدة ما يزعمه بعض المغرضين
من لايرضيه العجب ولا الصيام فى رجب، بأن نظامنا التعليمى
متخلف. والغريب أن هؤلاء يطالبون بتطوير وسائل الإيضاح مع أنها
موجودة بوفرة فى أنوبيسات النقل العام . وما على التلاميذ من كل
الأعمار إلا أن يركبوا تلك الأنوبيسات ليروا ما لا عين رأت ولاخطر
على بال بشر ..

فضفضة

إن عددا من المخرجين وكتاب السيناريو المحترفين يجتمعون الآن ليلا ونهارا "ليسلقوا" على عجل قصص عدة أفلام عن "فتاة العتبة"، كما سبق أن فعلوا مع "فتاة المعادي" ثم "فتاة مصر الجديدة" وأيضا "فتاة امبابية". فبعد أن كان تاريخ مصر يكتب بواسطة الراقصات، أصبح اليوم يكتب بواسطة حوادث الاغتصاب !

وهو تطور لا يمكن إنكاره في السينما المصرية وجهد مشكور لبعض المخرجين والفنانين المصريين الذين لا يألون جهدا في "تنقيف" الشباب المصرى وتلقيهم "حقائق الحياة" من شد أنفاس الحشيش إلى حقن الأفيون إلى "البليعة" وشم الهيروين، ولن يفوتهم بالطبع تعليمهم كيفية إشباع الغرائز الحسية عن طريق وسائل النقل العمومية .

ولبعض الأفلام السينمائية أيضا يعود الفضل في شيوع صورة للمرأة المصرية لا علاقة لها بالواقع، والنتيجة أن البعض لم يخلعوا من التصريح بأن الفتاة التي تغتصب ليست ضحية وإنما مذنبة لأنها "عادة" ما تكون "مبسوطة" بينما اللذنب البشرى يتحرش بها، وأنها تصل إلى ذروة الانبساط عندما ينقض عليها باظافره الملوثة وأنيابه المسمومة ليمزق كرامتها ويقضى على إحساسها بالأمان إلى الأبد !

ولاشك أن أصحاب هذه النظرية السادية ينتمون إلى تلك الطبقة التى لا تتعامل مع هيئة النقل العام، وتمضى الساعات فى مشاهدة

أفلام المقاولات فى جهاز الفيديو .

ويشاع أن عددا أكبر من السينمائيين يستعدون لإصدار قرار عن طريق نقابتهم لمقاطعة إنتاج أو إخراج أو تمثيل مثل تلك القصص الشوهاء، التى ساهمت، مع بعض المسلسلات الأمريكية، فى اغتيال البراءة من عيون وعقول النشء المصرى، وصدرت صورة مهزوزة ومزيفة للمرأة المصرية إلى جميع أنحاء الوطن العربى .

وفى محاولة مستميتة لاستعادة البراءة إلى أرض الوطن وبث الروح والأمل فى وجدان الشعب المصرى ذهبت الفنانتان الكبيرتان نادية لطفى وأمينة رزق لزيارة فناء العتبة وتقديم اعتذار علنى لها . كذلك احتشد عدد ضخم من الفنانين والكتاب فى نقابة الصحفيين لإعلان رفضهم القاطع لحادث العتبة، واعتباره سبة فى جبيننا جميعا، ونكسة مروعة لأخلاقيات المواطن المصرى لا يمكن التغاضى عنها، أو اعتبارها أمرا عاديا . كذلك مرفوض تماما أن تقدم الضحية كبش فداء لخيبة الأمن المصرى .

إن كل الملابس التى أدت إلى وقوع جريمة كحادثة فتاة العتبة يجب أن تناقش بعمق قبل أن نتفاهم الأمور . لن يجدى إصدار قرارات متعجلة ولا اعتبار الحادث حالة فردية لن تتكرر .. بل لابد من البحث عن حلول جذرية لإنقاذ القيم فى مصر من الانهيار .

وأقترح أن يكون عقاب كل من يثبت ارتكابه جريمة اغتصاب
أو هتك عرض لامرأة أن يكون للجزاء من جنس الجريمة، وأن يبتز
العضو الفاسد من جسد المجرم كما يبتز الورم السرطاني .. فالعين
بالعين والسن بالسن .. والبيادي أظلم ..

عتاب من سيناء

كما نتصل الأم من ابنها الضال، بينما قلبها يتفتت شوقاً إليه وقلقا عليه، تنصلت مصر من ابنها في سيناء. تظاهرت أنه موجود وبخير ولا ينقصه إلا رؤياها، ثم تركته في العراء نهبا للغازى من كل اتجاه، وفريسة للفقر والإهمال، وعندما تخلف عن العصر، زعمت أمه - مصر - أنه يجب أن يظل هكذا عقابا له على تشبثه بقطعة عزيزة من كيائها، وعضو حيوى فى الجسد المصرى لا يمكن بتره .. هى سيناء .

لكن المصرى فى سيناء بقدر حزنه وحاجته الشديدة إلى مصر، لم يصدق لحظة أنها يمكن أن تتخلى عنه، ظل يرنو إلى الوادى عن بعد.. ويتعشم خيرا فى أن أهله سيتذكرونه ذات يوم ويأتون بخبراتهم وأفكارهم وأوراقهم وأموالهم ليحققوا أحلامهم فوق أرض سيناء ..

ظل يتبعهم ببصره مندهشا من تلطمعهم على أبواب الوظائف الحكومية والسفارات الأجنبية بحثا عن الفتات تلقى إليهم فى أنفة وما إن تنتهى الحاجة إليهم حتى يطردوا بلا شفقة فيعود من يعود فى نعش أو سيارة أو طائرة أو باخرة دائما خاوى الوفاض وغالبا مهددا بالفناء، ولقمة سائغة للحاقدين والطامعين والأفاقين ..

ويتحير ابن سيناء، فهو لا يفهم لماذا يفعل أشقاؤه ذلك بأنفسهم

بينما أرضه أرضهم، سيناء تنتظرهم فى لهفة، وقد اكتتزت فى باطنها ثروات لا حدود لها من المعادن والبتروول والفحم والمنجنيز إلخ.

إنه يعلم أنهم يعرفون تماما بأمر الكنز المخبوء فى بطن سيناء، ورآهم يذرفون الدموع حزنا على ضياع الكنز عندما احتلته الأعداء فى ١٩٦٧ . وصدق تماما أن أمه - مصر - أحنت رأسها للعاصفة وقبّلت صلحا غير مشرف، وتحملت لوم الأشقاء وعتاب الأصدقاء وقطيعة الأحباب من أجل أن يعود إلى جسدها العضو العليل فلا يبتتر كما حدث لأراض أخرى عربية ما زالت بين فكى الذئب يلوكها ويتأهب لابتلاعها وهضمها ..

وابن سيناء تابع فى ألم ممض أولئك الأعداء وهم يهتكون أرضه البكر .. ويمتصون دماءها بلا رحمة . ولم يتخل عن واجبه لحظة فى الدفاع عن أرضه عرضه، وأمد الجيش المصرى بمساعدات فى مواقف بطولية سطرها التاريخ بكل فخر، ومع ذلك فوجئ بمن يسخر منه فى المسلسلات التليفزيونية ويشيع عنه الأكاذيب ويسئ إلى سمعته .

لقد كان يظن أن عودة السلام إلى أرضه تعنى أن تثوب أمه إلى رشدها، وأن يعتذر له أشقاؤه ويعيدون إليه نصيبه فى فرص

التعليم والعلاج والخدمات ..

إن لديه متسعا للجميع وأرضه البكر تنن تحت وطأة الشوق
واللهفة .. فلماذا يتكدس إخوته فى شريط ضيق حول النيل يقتتلون
حول أشبار معدودة، ويكادون يختنقون فى زحام رهيب ؟!..

والأهم من هذا كله، متى يعود إلى ابن سيناء حقه المسلوب فى
مياه النيل .. متى يمتد إليه شريان الحياة ممثلاً فى ترعة السلام التى
كثر الحديث حولها والتى سوف تحول سيناء بلمسة سحرية إلى جنة
خضراء تفيض بفرص العمل والاستقرار للملايين من أبناء الوادى
وتتقدم من التسول خلف الأبواب غير الموصدة !..

لقد مرت سنوات عشر على تحرير سيناء من براثن الاحتلال
الصهيونى، فماذا فعلنا بها ولها .. ماذا قدمنا إليها عوضاً عن إهمالها.
سؤال ظل يتردد فى وديان سيناء وهضابها وشواطئها
وواحاتها عشر سنوات كاملة فلا يجد إلا رجع الصدى .

ولم يقف أشقاؤنا المصريون فى سيناء مكتوفى الأيدى بل
شمروا عن سواعدهم ورووا الأرض بعرقهم فحولوا صحارى عديدة
إلى مزارع ممتدة وأعادوا بناء المدن فى العريش ورفح والشيخ زويد
وبير العبد ونخل والحسنة وأنشأوا ثلاثين قرية وحفروا ستين بئراً ..
لقد تغيرت الصورة تماماً فى شمال سيناء التى تحتفل هذا

الأسبوع بعيدها القومي، ولكن ما زال هناك الكثير والكثير جدا الذى يحلم به أبناؤنا فى سيناء . وعلينا أن نلبى نداءهم فوراً ..

فلم تعد سيناء منفى لابن مصر الضال ..

بل أصبحت موطن ابن مصر الذى يحمل فى جعبته الخير كله والحل لكل مشاكلنا الاقتصادية فتهنت حارة لأبناء سيناء أبناء الأمس واليوم والغد .

واعتذار من القلب للإخوة فى سيناء عن إهمالنا وغفلتنا وضيقنا فى التيه أربعين عاما نجرى وراء سراب اسمه القروض الخارجية وهم اسمه المعونة الأجنبية، بينما الحل الوحيد فى تعمير صحارى مصر واستخراج كنوزها وعلى رأسها سيناء ..

"بنيلوب" ما زالت تنتظر !

مثمًا فعلت بنيلوب، الزوجة الوفية، فى إلباذة هوميروس،
ظلت سبنا تنتظر .. لقد انشغل أوليس زوج بنيلوب، كما انشغل
المصرى، بالحرب دفاعا عن شرف بلاده . وعاد الجيش منتصرا،
لكن أوليس تاه فى بحر الظلمات ..

وأراد الرجال أن يجعلوا بنيلوب تنسى زوجها لنتزوج واحد
منهم، ولكنها تعلت بغزل ثوبها، وفى كل ليلة كانت تفك ما نسجت
فى الصباح ثم تبدأ من جديد ..

والثوب الجميل الذى ستهديه سبنا لزوجها الغائب فى وادى
النيل هو كل ما ادخرته فى جوفها من كنوز وثروات .. ولا تنتظر
منه سوى شبكة بسيطة هى ترعة السلام التى ستمدها بقطرات من
مياه النيل العذبة التى ظلت تنتظرها طويلا .. فما إن ترتوى بها حتى
يتفجر ما بأعماقها من ينبيع الخير الوفير ..

ملايين الأفنة يمكن زراعتها بطيبات ما رزقنا الله من القمح
والخضر والفاكهة ..

مئات المصانع يمكن أن تقوم على أرض سبنا لتصنيع إنتاجها
الزراعى ولاستخراج ما بجبالها من معادن وفحم وأسمنت ورخام ..

فضفضة

عشرات القرى والمدن يمكن إنشاؤها وسط سيناء وعلى سواحلها الغنية بالثروة السمكية وإمكانات السياحة .

ولن يتم هذا بالإيقاع المناسب إلا إذا بدأنا وفورا فى مد شبكة طرق فى كل أنحاء سيناء، لتكون بمثابة أوردة وشرابيين تضخ الخير والأمل من وإلى سيناء .

إن أبناء سيناء لم يدخروا جهدا فى عمل المستحيل من أجل تعويض ما فاتهم طوال العهود الماضية . لكن جهودهم الذاتية ومخدراتهم لا تكفى على الإطلاق .. فالمشروع أكبر كثيرا من طاقاتهم .. والفكرة ليست بناء مطبخ ضخيم يمد المعدة المصرية بكل ما لذ وطاب .. وإنما إرساء اللبنة الأساسية لمشروع استراتيجى تحت عنوان تعمير الصحارى المصرية : سيناء .. الوادى الجديد .. والصحراء الغربية ..

إن التكنولوجيا الحديثة جعلت من الممكن زراعة الرمال بتكاليف أقل كثيرا جدا من استصلاحها، وبمحصول أوفر مما فى أراضي الوادى المنهكة ..

والتعمير كلمة تعنى تخفيف العبء عن مدينة القاهرة التى تحولت إلى وحش عملاق يلتهم مشاريع الدولة وخدماتها وميزانياتها ويعتصر بين أنيابه وأظافره ثروتها البشرية التى سدت فى

فضفضة

طريقها كل قنوات العمل فى الخليج وشمال أفريقيا والبقية تأتي .

فلنعتد على مواردنا، وهى وفيرة والحمد لله، ولنبدأ من الآن فى مناقشة الاقتراح الذى قدمه محافظ سيناء على مدى السنوات العشر الماضية اللواء منير شاش، الذى يدعو إلى إنشاء هيئة لتعمير سيناء، وإدارة الاقتصاد والاستثمار فيها .

لا نريد لمجتمع سيناء الجديد أن ينمو عشوائيا أو أن يكون لكل طامع محتال .

لا نريد أن نذهب إليه بأمرأنا الاجتماعية المزمنة ونكرر لأخطأنا السياسية والاقتصادية .

لا نريد أن نحى ثقافة أبناء سيناء أو أن نعيد تشكيل سمات الشخصية ليكونوا صورة مكررة من أبناء الولاى أو مسخا من الشخصية الغربية .

نريده مجتمعا شابا عفيا قادرا على مواجهة المستقبل بكل ما يحمله من مفاجآت . هذا هو درع الأمان الوحيد لبلادنا .. وهو الخطوة التى ستباركها الأجيال القادمة، وتبدأ بها مصر عهدا جديدا ..

شوارعنا تأديب وإصلاح !

لا يدرك الكثيرون مدى عطف الحكومة المصرية وحناؤها .
وأنها أحيانا ما تكون كالأم للرموم تصفع ولدها كى تجبره على
السلوك القويم .

وقد أدركت شخصيا الحكمة البالغة من إهمال المسؤولين
المصريين للشوارع الجانبية . إنهم يتناسونها تماما، وعن عمد، فى
خطط الرصف والإتارة ورفع المخلفات والنظافة . وهم يتركونها
هكذا ليس إهمالا - لا سمح الله - ولا تقاعسا عن أداء وظائفهم التى
يتقاضون المرتبات وأضعافها تسهيلات وفرصا وخلافه من أجلها،
وإنما لحكمة بالغة لا يدركها إلا ذوو الحصافة وبعض الضحايا
أمثالى. تلك هى التهذيب والتأديب والإصلاح للمواطنين الذين
يتعاملون مع الشارع المصرى بكل استهتار، فيسيرون فيه ليلا
ونهارا، ويدهسون أرضه المقدسة بأحذيتهم ويكون فوقها بنعالهم
المثقوبة كما لو كانوا يسيرون فوق ممتلكاتهم الشخصية .

ومساء الخميس الماضى أتحت لى فرصة - أرجو ألا تتكرر -
كى أدرك المغزى العميق والهدف النبيل وراء ترك جذوع الأشجار
المكسورة مركونة إلى الأبد بجوار الرصيف فهى أولا وسيلة لتعليم
الإنسان المصرى كيف يتواضع، فيحنى رأسه طوال الوقت ولا

فضفضة

يرفعها عن الأرض لحظة وإلا تكعبل فى مطلب أو تدرج فى حفرة أو سقط فى بالوعة . ولأئى محظوظة فلم يحدث لى ما يتكرر كثيرا اليوم للمواطنين فى شوارعنا المصرية الجميلة، لم أجد نفسى فى قاع مجرور فاغر الفتحة، متعطش لابتلاع عشرات الأدميين وإنما فقط تكعبلت فى شئ ما متروك بجوار الرصيف منذ العصر الحجرى كأثر نادر لا يجوز الاقتراب منه أو نزع من مكانه . وكانت النتيجة أن التوى كاحلى وأصبت بشرخ فى عظمة القدم اليسرى بينما كنت فى طريقى لجراج فى شارع جانبى متفرع من شارع الانتكخانه .

ونظرا للظلام الدامس فى ذلك الشارع الجانبى، فلم أر ذلك الشئ الذى تعثرت فيه، فلربما كان فرع شجرة كما خيل إلى أو ماسورة معدنية أو عرسة من آلاف العرس التى تمرح فى اطمئنان تام بين أكوام الزبالا المكسدة تحت مئات السيارات فى الشوارع القاهرية.

ولأننا نعيش فى السنوات الأخيرة جدا من القرن العشرين فلا يوجد فى شوارعنا أى وسائل لنجدة الإنسان إذا ما تعثر فجأة . وكل إنسان معرض لأن تلوى قدمه أو يصاب بإغماء نتيجة السكر أو الأنيميا أو الضغط من الحكومة وما تفعله بالمواطن أو بمغص كلوى أو أزمة مصران أعور أو .. أو ..

ولكن حكومتنا الرشيدة لا تتعامل إلا مع الأصحاء،
وتؤمن أن الحوادث لا تحدث إلا للإنسان المشاغب فيجب أن يعاقب
بالحرمان التام .. لا تليفونات يمكن أن تتصل منها بأقاربك أو
سيارات__ إسعاف تهرع إليك لتجذك أو جنود شرطة يؤدون
واجبهم نحوك كما هو المتبع والمعروف في كل بلاد العالم فيسألونك
ما بك ويتصرفون __ بناء عليه لإنقاذك ...

لا شئ على الإطلاق .. وأنا ملقاة على الأرض أصرخ من
ألم لا يحتمل ولا أستطيع الحركة مطلقا، ولا أجد مخلوقا واحدا يأتي
لينجذني .. لم يحدث ذلك في القطب الشمالي، ولا في عمق
صحراء مصر الغربية، وإنما على بعد مترين في شارع جانبي
متفرع من شارع الانتكخانة أى في منطقة وسط البلد .. على بعد
أمتار فقط من ميدان طلعت حرب.. وفي الساعة الثامنة مساء ..

وهكذا أثبتت لى الحكومة المصرية الحكمة من تلك الدعوة
التي كانت أمى تودعنى بها دائما "يكفيك شر الطريق" .

وهأنذا أرقد فى فراشى، وقد حبست قدمى وساقى فى الجبس،
ممنوعة من لمس الأرض بالقدم المشروخة لمدة شهر على الأقل .
وقد تعلمت بالدليل القاطع أن "من خرج من داره انتقل مقداره"، وهى
حكمة بليغة، لولا حنان المسئولين عن شوارعنا وحصافتهم لما
تعلمتها. فشكرا لهم ألف شكر وأشوف فيهم يوم يارب ..

"العدالة العوراء"

غير صحيح ما يزعمه أعداء الولايات المتحدة الأمريكية من أن العدالة الأمريكية - شأنها شأن العدالة الغربية - عمياء تبطش بغير تبصر، فالمدقق "الموضوعي" لابد أن يكتشف أن العدالة الأمريكية "عوراء"، تغض إحدى عينيها، وتفتح الأخرى عن آخرها. ولقد احتاجت هذه العدالة إلى أربعة عشر شهرا كاملة تبحث وتفحص وتدقق، وتتجاهل تماما مؤثرات خارجية مثل شريط فيديو صور شخص لا علاقة له بالحادث .. إلخ، لكي تصدر أخيرا حكما بالبراءة على أربعة ضباط شرطة بيض انهالوا ضربا وحشيا على شاب أسود ارتكب مخالفة مرورية ..!

ولأن عدالة الله لا تنام فقد قدر لتلك الحلقة الظالمة أن تعرض على ملايين الأمريكيين من خلال شاشة التليفزيون لكي يروا بالصوت والصورة كيف يتعامل النظام للعالمي الأوحدمع أبنائه السود ..

وبمجرد صدور حكم البراءة قامت قيامة الناس جميعا فى أمريكا، فالصبي أسود، هذا حقيقى لكنه ليس عربيا فلسطينيا، الضباط بيض، لكنهم ليسوا إسرائيليين، وبالتالي فلا معنى للسكوت والاكتفاء بالألم وممصصة الشفاه كما ظلوا يفعلون وهم يتابعون المعاملة

الوحشية للجيش الإسرائيلي ضد أطفال الانتفاضة .

انتفض مواطنو لوس انجلوس احتجاجا على ما حدث لواحد منهم، وتكررت مشاهد عديدة سبق أن شاهدناها منذ شهور، لكن بدلا من أن تحدث في فلسطين المحتلة أو في واحد من بلدان العالم الثالث إذا بها تحدث في أغنى ولاية أمريكية، وأكثر مدن أمريكا غرورا وأمانية .

ولابد أن أعداء أمريكا من الحاقدين عليها قد شعروا بشيء من الشماتة إلا أنهم لابد أن يعذروها، فأحدى عينيها كليلية عن كل عيب وهى التى كانت تنظر بها إلى الضباط البيض "المسممين" الأربعة، أما العين الأخرى التى "تبدى المساويا" فقد جاءت من حظ الفتى الأسود المسكين ..

وهو أمر خارج عن إرادة الجالسة فوق عرش النظام العالمى الجديد.. وقد تعودت عليه وعودت العالم كله على هذا العيب الخلقى فيها فلم يحتج ولم يثر، بل تبعها الجميع وبصموا على قرارات "ملزمة" وإجراءات لا تقبل التأجيل وأحكام لا تحتمل الاستئناف .. بنفس العين الكليلية نظرت أمريكا النظام العالمى نظرات تقطر حنا وعشقا إلى أفعال إسرائيل السوداء فى الشعوب العربية داخل وخارج حدودها، فلم تر فى كل ما فعلته جريمة تستحق ولو شد الأذن، ثم نظرت بعين

البغض الأخرى إلى البلاد العربية فشعرت برغبة قاتلة فى سحق شعوبها الواحد وراء الآخر بلا أدنى شفقة .

وما حدث فى لوس انجلوس مؤخرا دليل دامغ على براءة أمريكا من تهمة الاتحياز .. فيها هى ترتكب نفس "الغلطة" مع أبناءها السود الذين حاولت إبانتهم، كما فعلت مع الهنود الحمر، فلم تستطع، فتركهم يستمتعون "بالحرية المطلقة" فى التسول وإدمان المخدرات بكافة أنواعها، ويتسابقون مع أفقر الدول فى ارتفاع معدلات الأمية والبطالة والمرض والجريمة بينهم ..و.. "ما حدث أحسن من حد"!

ولا مجال للمقارنة بين ما حدث للشباب الأمريكى الأسود ذات مرة، وما يحدث كل ساعة وكل يوم وكل وقت للشباب الفلسطينى الأعزل فى الأرض المحتلة .. فالشباب الأسود ارتكب مخالفة مرورية استحق عليها علقه ساخنة بلا مبرر، أما الشباب العربى فى فلسطين والعراق وليبيا، والبقية تأتى - فجريمتهم الكبرى هى أنهم موجودون وهذه جريمة تستحق - فى عرف العدالة الأمريكية العوراء - حكما بالإبادة ..

ويا أيها الشامتون اهدموا .. فما حدث عادى جدا وكان لابد أن يحدث .. إذ إن طباخ السم لابد أن يذوقه ..!

الأمن مستنجب ..!

"الباب اللى يجيلك منه الريح، سده واستريح" حكمة شعبية، كانت جدتى ترددها كثيرا ..

والمتابع لتصرفات وتصريحات مسئولى الأمن فى بلادنا لابد وأن يعجب بتطبيقاتهم المخلص لتلك الحكمة البليغة ..

تضاعفت جرائم الإرهاب فى أغلب محافظات مصر، وزادت عصابات الإرهابيين، وكثر عدد ضحاياهم، وتطورت أساليبهم مما يؤكد أنهم غادروا مرحلة الهواة إلى المحترفين، ولم يعودوا يكتفون بالتهويل والهروب، بل صاروا يعمدون إلى البطش والتصدى بل والمطاردة حتى لرجال الأمن أنفسهم .. كل هذا ينشر تباعا فى صحفنا اليومية، ونقرأه ونحن ذاهلون .

ثم تأتى المفاجأة الكبرى فى نهاية الفيلم المثير .. يظهر واحد من ضباط الشرطة ليعلن بمنتهى الثقة أنه قد تمت السيطرة على الأمور، والقبض على الجناة وأن الأمن مستتب وكل شئ عال ونحن بالطبع نصدق، ليس لأننا شعب من السذج وفاقدى الذاكرة، ولكن لأننا نثق فى رجال الأمن فى بلادنا .

ولأننا جميعا مصريون، فإن الروح التكالية التى نتصرف بها حكومتنا مع كل الأمور، تقشت فينا وصارت شعاعا نرفعه فى مواجهة كل المصائب ..

لم يتحرك أحد ليدرس ظاهرة الإرهاب فى مصر على الواقع، ويقدم لنا بحثاً ميدانية وإحصائيات دقيقة عن أولئك الرجال الذين يتصرفون بعداء شديد تجاه كل مقدساتنا المعنوية ..

ما هو العدد الحقيقى للضحايا من المسيحيين والمسلمين؟! ما هى نوعية رجال العصابات، أعمارهم، ثقافتهم، أفكارهم، الأهداف التى يسعون إليها .. إلخ .

إن معالجة تلك الظاهرة الخطيرة مازالت تتسم بالسطحية الشديدة .. مجرد اجتهادات لبعض المفكرين أو المساسة ممن لم يكلفوا أنفسهم مشقة الذهاب إلى تلك المناطق المنكوبة، أو لقاء أولئك الشبان الضائعين، أو أهالى الضحايا ..

الغريب أن الجميع يتعاملون مع مرتكبى جرائم الإرهاب باحترام شديد، ويطلقون عليهم لقباً يحمل فى طياته الكثير من الإعجاب بهم : إنهم متطرفون .. لقد ذهبوا فى الإيمان بعقيدة الإسلام، والعمل بها، إلى حد التطرف .. وهذا يعنى أن الإسلام يدعو إلى قتل أهل الكتاب والتتكيل بهم، ويدعو إلى السرقة وإلى إزهاق الأرواح وإلى الخروج على القوانين وإلى إشاعة الرعب .

هكذا وببساطة، أسبغنا على مجموعة من العصابات، شرفاً يتمناه كل مسلم، وأوحينا لأنفسنا ولأبنائنا وللعالم كله أن مايفعلونه هو من أصول ديننا الحنيف! ..

ولو أننا تعاملنا مع الظاهرة بجدية أكثر وسعينا لدراستها علمياً

فضفضة

والخروج بنتائج صحيحة عنها سنكتشف أن مرتكبي تلك الحوادث أبعد مايكونون عن الدين - أى دين - وأنهم أجهل ما يكونون بالإسلام، وأنهم لا يرتكبون جرائمهم حبا فى الله ولإثبات تقواهم، وإنما انتقاما من مجتمع أهملهم أطفالا، وأعطى لهم ظهره شبابا .. فتركهم فريسة للجهل والفقر والبطالة والإهمال المشين لكل محافظات مصر، لحساب مجموعة صغيرة جدا من المدن ..

وكما يتصرف الطفل الذى أهملت تربيته، يعتمد هؤلاء إلى أئمن ما تمتلكه مصر، الوحدة الوطنية، ليدمروه، ليس لأنهم ضده، ولكن ليثيروا الرعب فى النفوس ويرغموا المسؤولين على الإذعان لمطالبهم ..

إن ما حدث فى منشأة ناصر، وقتل أربعة عشر مصرياً، لايمت إلى الفتنة الطائفية بشيء .. بل هى جريمة نكراء، ارتكبتها مجموعة من رجال العصابات المدربين، وبسبب الثأر، أو فرض السطوة، أو بصراحة أكبر، غياب الأمن، ورخاوة التعامل مع جرائم مماثلة ..

ما يحدث بمصر الآن ليتراز وليس تطرفاً دينياً .. فافتحوا الأبواب والنوافذ، ولنواجه المشكلة بشجاعة قبل أن نتحول الرياح إلى عواصف وأعاصير .. وارحمونا من : كله تمام يا أقدم .. الأمن مستتب .. يعنى إيه مستتب !؟

نحن نكذب ولا نتجمل !

لا يوجد فى العالم كله شعب يحب بلاده كما نحب نحن المصريين بلادنا ..

ولأن الحب أعمى، كما يقولون، فنحن لا نرى، أو لا نرغب فى أن نرى عيوب بلادنا ..

وأى شعب فى العالم، صمد لأقسى أنواع القهر على مدى عصور طويلة كما فعل شعبنا حتى وقت قريب ؟!

بل وأى شعب على ظهر الكرة الأرضية يمكنه أن يتحمل ما يحدث اليوم فى مدننا وقرانا من إهمال وفوضى وقذارة وزحام وضوضاء .. إلخ ؟!

المهم أننا نرى هذا كله جيدا ونعيه تماما، ونحدث عنه ليل نهار لأنفسنا ومع أصدقائنا، بل ويطاردنا فى منامنا كالكواييس .. لكننا ننتفض غاضبين إذا ما تحدث عنه أحد غيرنا ..

إنه غسيلنا القذر نحن .. ولا يجوز لأحد أن ينشره على الملأ .. سوانا !! وغير بعيد تلك الحملة الضارية التى قادها بعض من حملة الأقلام فى صحفنا السيارة ضد الفنان الفلسطينى ناجى العلى، لمجرد اشتباههم فى أنه عندما رفض معاهدة كامب ديفيد وانتقد الرئيس السابق أنور السادات فإنه قد لعن "سنسفيل" مصر وشعب مصر وجنوده جميعا !!

ثم حملة ضارية أخرى ضد الفنان يوسف شاهين لأنه عندما صور فيلما تسجيليا عن القاهرة لم يَقم بكنس الشوارع وغسلها بالصابون قبل التصوير، ولم يخبئ وراء الأبواب وتحت الأرض أرتال المتسولين والعاطلين الذين يجوبون شوارع القاهرة ليل نهار .

تصوروا .. كل هذه الأكاذيب والافتراءات عنا نحن المصريين "الأماثل" وعن بلادنا الحبيبة ..

ومن السهل طبعا "رفض" كل هذه الافتراءات وفضح أصحابها من أعداء مصر، وعملاء المخابرات الأجنبية وما علينا إلا أن نجتمع في مجلد واحد من ألف وخمسمائة صفحة آلاف التصاريح والبيانات والتكذيبات التي صدرت عن مسئولينا العظام في شهر واحد فقط، وكلها تؤكد أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ..

وانظر حولك في القاهرة مثلا .. لن تجد شارعا واحدا بدون مطبات، بل إننا إذا لاحظنا شارعا ممهدا سويا، زرعناه مطبات صناعية نقطم أجعص سيارة قطعتين .. اما أرصفة شوارعنا فنحن نتفنن في كل ما يمكن أن يكسر أقدام وسيقان المارة عليها من البلاط المنزوع إلى أكوام المخالفات والقمامة، إلى زرع خوازيق معدنية ارتفاعها خمسة عشر سنتيمترا بحجة تركيب لافتات دعائية في يوم ما، فوقها !

يحدث هذا كله في بلادنا المحبوبة ليس لأننا متخلفون عن العصر أو لأن المسئولين عن شوارعنا يغطون في سبات

فضفضة

واطمئنان عميقين، ولكن بصراحة وبالعربى لأننا نريد أن نطفش
الدخلاء عن القاهرة بعد أن أصبح الجميع يطمعون بالحياة فيها
والاستمتاع بمباهجها .

وقد نجحنا فى ذلك لدرجة أن سيرة القاهرة كعاصمة لأكبر
دولة عربية وأفريقية أصبحت على كل لسان .. وأصبح نصف
سكانها يفكر فى الانتحار والنصف الآخر مصاب باكتئاب نفسى
مزم . حدث ذلك فى الجيزة أيضا وأجزاء من القليوبية والبقية
تأتى..!!

لاشئ مطلقا يمكن أن يززع إيماننا الراسخ بأن الحياة
بأسلوب وعقلية القرون الوسطى أفضل ألف مرة من الغرق فى محيط
العصر الحديث .

أو أن يقنعنا بأنه من الأفضل أن نغسل غسيلنا جيدا، حتى إذا
ما نشر، ولا بد أن ينشر شئنا أم أبينا، كان مدعاة فخر لنا .
كلا ثم كلا ..

فنحن نفضل ألف مرة أن نكذب "عيني عينك" كما أننا لسنا
على استعداد لأن نتجمل ..

ولتذهب الحقيقة، والباحثون عنها .. إلى الجحيم ! فهذه هى
الوطنية .. على الطريقة المصرية ..

قريّة حائرة !!

كنا نظن أن حرب القوميات قد اشتعلت بين شعوب الاتحاد السوفيتي المنحل وحدها، ولكن الواقع أن حربا ضارية تجرى اليوم على قدم وساق بين قوميتي "المنوفية" و "القليوبية" حول شعب تائه وغلبان ويقطن قرية مصرية تسمى قرية دروة ..

ومأساة شعب قرية دروة أنه غير قادر على تحديد هويته وما إذا كان منوفيا حسب فرمانات الباب العالي، أم قليوبيا حسبما تقتضى المسافة القصيرة بينه وبين القليوبية، وتتركز فيها أغلب مصالحه..!!

ولقد اختلطت الأمور على هذا الشعب المسكين، فتصور أن القليوبية مصرية والمنوفية مصرية، وأننا نعيش فى عصر الديمقراطية أى حكم الشعب بالشعب، أى أنه هو الذى يحدد مصيره ويختار بكامل إرادته إلى أى القوميتين ينتمى ..

والحمد لله أن بهيئاتنا ومؤسساتنا بيروقراطيين أصلاء يستطيعون أن يوقفوا مثل هذه النزعات "الاستقلالية" عند حدها، وأن يصدروا فرمانات تأديبية تجعل أهالى قرية دروة - مركز أشمون - محافظة المنوفية - يثوبون إلى رشدهم ويدركون أن الله حق، وأن أحلام اليقظة التى يغرقون فيها ويتخيلون أن الوقت قد حان لحل مشاكلهم ما هى إلا أضغاث أحلام ..

فضفضة

منذ ثلاثين عاما كانت قرية دروة تمتلك ثمانية خطا تليفونيا تتبع سنترال القناطر الخيرية، وتقدم عدد من الأهالى بطلبات تركيب تليفونات جديدة، ولكنهم فوجئوا بقطع الخطوط القديمة وتعطيل الخطوط الجديدة ..

وهكذا بجرة قلم انقطعت صلة القرية بالعالم الخارجى، حتى تليفون الجمعية الزراعية وتليفون مكتب البريد تم رفعهما !..

والسبب !؟ لقد قرر أحد عباقرة البيروقراطية المصرية أن قرية دروة تتبع مركز أشمون الذى يبعد عنها بثلاثين كيلو مترا، ولابد أن تتبع تليفوناتها سنترال أشمون .

ولكن أهالى قرية دروة هبوا جميعا وطالبوا فى عرائض وزعوها على كل المسئولين بأن تتبع قريتهم مركز القناطر الخيرية- محافظ القليوبية لأنه يبعد عن قريتهم بمسافة أربعة كيلومترات فقط .

ولأن المسئولين فى بلدنا ينتمون إلى قبيلة قراقوش، وهى قبيلة تصدر الأوامر فقط ولا تسمع أحدا غير نفسها، فإن صوت أهالى قرية دروة لم يجد لديهم أى صدى، على العكس من ذلك أصدر قراقوش كبير فرمانا بإلغاء كل الكوابل والبوكسات التى كانت مركبة بالقرية وتربطها بسنترال القناطر الخيرية، والتى تكلفت أكثر من مليون جنيه.

إن أهالى قرية دروة يجمعون على أن قريتهم امتداد طبيعى

جغرافيا لمدينة القناطر وتتبع زمام للقلوبية، كما أن جميع مصالح وأعمال أهالى القرية تقع بمدن القناطر الخيرية وشبرا والقاهرة وحلوان وأبناؤهم يدرسون بمراحل التعليم المختلفة بالقاهرة والقلوبية.

فلماذا الإصرار على أن يتبعوا مركز أشمون بالمنوفية وأن تتركز فيه مصالحهم من سجل مدنى إلى تموين إلى تجنيد .. إلخ .

إننا نتوسل إلى الباب العالى أن يتنازل ويتعطف ويعترف بحق تقرير المصير لشعب قرية دروة للقلوبى ونهيب بالمسئولين أن يساعدوا أهالى قرية تربض على بعد نراع من القاهرة، لا يهجروها جميعا كما فعل أهالى قرى عديدة ويتحول بعضهم إلى أرقام جديدة تزيد مشاكل العاصمة وتضخم أعباءها ..

إنهم يطالبون باستكمال الجمعية الاستهلاكية والمعهد الدينى اللذين وضع حجر الأساس لمبناهما منذ سنوات، ولم يكتملا حتى اليوم، ويطالبون بإصلاح الجسر الذى يربط بين قريتهم والقناطر الخيرية، وبأن يعترف بقريتهم كمحطة تتوقف عندها أتوبيسات النقل العام .

إنها مطالب معقولة جدا .. أما غير المعقول فهو أن نحول حياة الناس فى قرى مصر ونجوعها إلى جحيم لا يطاق .. ثم نتعجب لماذا يهجرون قراهم ويتكدسون بالقاهرة ..!

حقيقى .. لماذا ؟!

المصريون .. وأبناء الجارية !

تزعم كل كتب التاريخ والجغرافيا أن مصر يسكنها شعب واحد، ليس بين أبنائه قبائل ولا عناصر ولا أجناس مختلفة ..

والواقع أن هذه الحقيقة ظلت قائمة على مدى آلاف السنين حتى أطلت مصر برأسها على العصر الحديث، فانقسم شعبها إلى نصفين .. أولهما ينحدر من سلالة "المحظية" والثاني حملت فيه مصر سفاحا، وينطبق عليهم صفة أبناء "الجارية" وصحيح أن الجميع يتحدثون لغة واحدة ويتبعون نفس العادات والتقاليد والتراث .. إلخ . إلا أنهم يعيشون في عالمين مختلفين تماما ..

أبناء المحظية يحتلون المدن الكبرى، وأبناء الجارية يربطون على حدودها .. فى الأحياء الشعبية العشوائية، وفى القرى والنجوع والكفور والعزب .. إلخ .

ولكن لأن العالم أصبح قرية كبيرة، يتابع كل أبنائه أخبار بعضهم البعض لحظة بلحظة على الشاشة السحرية الصغيرة، وعلى صفحات المجلات والجرائد ..

ولأن ٩٩% من أفلامنا المصرية تحدث فى القاهرة أو الإسكندرية، وتدور أحداثها فى قصور وهمية وبيوت مستوردة، فإن "أبناء الجارية" من المحظوظين الذين شاهدوا التلفزيون فى بيوت

جيرانهم المرفهين، وتابعوا فى برامج شوارع المدن المرصوفة ومبانيها الشاهقة ومحلاتها المكسمة بالبضائع، تسرب إلى أعماقهم إحساس مرير بالظلم ..

أبناء المحظية أيضا لهم مشاكلهم .. شكواهم لا تنقطع من المياه التى لم تعد صالحة للشرب، والكهرباء التى تنقطع من حين لآخر، والشوارع التى تحولت إلى هضاب ووديان وسرايب، وما فى البوتاجاز التى تتحكم فى رقاب العباد، وشرطى العاصمة الذى لا يفعل شيئا فى الحياة سوى جمع مخالفات المرور .. إلخ ..

كل هذه المآسى التى تحيل حياة أبناء المحظية فى المدن إلى تراجيديا يونانية لا يجد فيها للبطل حلا سوى أن يقتل أباه وأمه (كما فعل أوديب) أو أبناءه "كما فعلت ميديا" أو أشقائه مثل أبناء أوديب .. أو .. ينتحر، فيريح ويستريح ..

كل هذا يبدو لعيون أبناء الجارية من أشقائنا المصريين فى اللجوع والكفور، كمثل مسلسل أمريكى شيق، يتهدون أمامه فى حسرة كما كنا نتهد ونحن نتابع مسلسلات دالاس وداينستى وأبناء "الكولبى" ..

وتصور إنسانا يعيش فى نهاية القرن العشرين يحلم بأن تنقطع عنه المياه والكهرباء، اللذان لم يصلا حتى الآن إلى قريته، ويتمنى أن

يعانى من المطبات فى حوارى قريته الترابية التى لم يرصف فيها شارع واحد منذ عصر الخديوى إسماعيل !..

ولأننا نعيش فى عصر الحروب الأهلية التى يشعلها النظام العالمى الجديد ليؤكد سطوته على العالم ويحكم قبضته على الشعوب، فإننى أحذر من غزو وشيك سيقوم به شعب أبناء الجارية على عاصمة مصر المحروسة، يعاونهم فى ذلك طابور خامس من الساخطين على أبناء المحظية "وأنا بينهم" الرافضين لتلك التفرقة العنصرية الحكومية التى قسمت الشعب المصرى إلى نصفين أحدهما يعانى من الحياة فى المدن، والآخر يعانى من الموت فى القرى ..

وليس سرا أن أبناء الجارية المصريين قد سربوا داخل حدود القاهرة ما لا يقل عن خمسة ملايين مواطن، يهيمنون على وجوههم فى شوارعها، متخفين فى أزياء البوابين والمتسولين والباعة الجائلين والخدم والسياس وعمال البناء .. إلخ .

وهم فى الحقيقة ليسوا سوى أفراد ميليشيا مدربة ومتأهبة للانقضاض ساعة الصفر على أبناء المحظية، لينفوخهم إلى القرى والنجوع ..

ويحتلون هم مواقعهم فى العمارات والقصور والمكاتب المكيفة.

فيا أبناء المحظية .. انتبهوا .. نحن قادمون !!

كلماته ستظل حية إلى الأبد

أخيرا أحرز الشهيد فرج فوده أعظم انتصاراته .. الاستشهاد في سبيل كلمة الحق التي آمن بها وظل يرددتها في شجاعة نادرة ..
إن الرصاصات القاتلة التي أطلقها سماك شبه أمى على المفكر النابغة فرج فوده لم تكن مفاجأة له، ولم تكن مباغته، بل لعله كان يحسب الدقائق والساعات والأيام انتظارا لها ..

كتب في مقدمة كتابه "الإرهاب" (الطبعة الأولى ديسمبر ١٩٨٨)، "لابد أن نسلم بحكمة علوية تهيي الأفراد لأداء دور، ربما دفعوا حياتهم من أجله، وربما أسعدهم الحظ بحصاد النتائج خلال حياتهم، وربما حدث العكس فعاشوا حياتهم يتنازعهم حماس تأييد القلة وصراخ وتنديد الكثرة، وليس عليهم إلا أن يدركوا حقيقة واحدة، وهي أنهم موجودون لأداء دور تفرضه عليهم معطيات الواقع ومتطلبات المستقبل، ويدفعهم إيمانهم بأوطانهم وبمستقبل الأجيال للقادمة، وأن وجودهم مرتبط بأداء هذا الدور، وأنهم بقدر هذا الأداء سوف يكونون، وبقدر التضحية سوف تنتصر دعوتهم، وبقدر قوة مناوئتهم وعنفهم وجبروتهم بقدر ما يكون لأدائهم معنى، ولدورهم تأثير، وبقدر إيمانهم بأن رحلة العمر كلها قصيرة، وأن الجميع إلى نهاية طال العمر أو قصر، وأن النهاية ثمن ضئيل لبداية الآخرين على طريق صحيح

فضفضة

بقدر ما تأتى البداية بأسرع مما يظن الجميع، وبقدر ما ترتفع الراية إلى أعلى مما يتصور الكل .."

هل توجد كلمات أبلغ من هذه يمكن أن تصف إحساس الشهيد فرج فوده الآن إذا جاز لنا أن نتصور ذلك ..

لقد تصور الذين حرضوا على قتله والذين نفذوا الجريمة أنهم قد انتصروا عليه، والحقيقة التى غابت عنهم أنهم أعلنوا هزيمتهم المنكرة وحققوا انتصاره الأكيد، وها هو يقول لهم فى نفس المقدمة لنفس الكتاب إن تهديدهم المستمر له بالقتل، (وتفويضهم للتهديد أخيراً) .. "أن معناه واضح لديهم ومفهوم لدى، ودلالته أنى أوجعتهم بما أكتب، وأثيرهم بما أجتهد ومادام رد الفعل سبا وقذفا فمعنى ذلك أن منطقهم أعجز من الرد وأهون من الحوار وأحق من التصدى .."

فما بالك لو كان رد الفعل أن يقتلوا النفس التى حرم الله قتلها...!!

إن المتابع لكتابات د. فرج فوده فى كتبه "ما قبل السقوط" و "الحقيقة الخائبة" و "حوار حول العلمانية" و "الطريق إلى أين" و "الملعوب" و "الإرهاب"، لابد أن يدرك إلى أى مدى كان يسعى لاقتداء عقل مصر وثروتها المعنوية ووحدتها الطائفية وتاريخها المشرف بكلماته الواضحة الصائبة، كان يعلم تماما أن ثمة مؤامرة تدبر بابل

ضد كل ما أحرزه رواد الحضارة في مصر ابتداء من الطهطاوى ومرورا بعلی مبارك وأحمد لطفي السيد وسعد زغلول وقاسم أمين وطه حسين وعلى عبدالرازق وأحمد أمين وجمال الدين الأفغانى ..

ولاشك أنه كان يسعى ويأمل لأن يضاف اسمه إلى هذه القائمة التي كان يعتز بها، وكان يفتخر بأن اسمه كان ترتيبه الثالث في قائمة الاغتيال التي ضبطت لدى تنظيم الناجون من النار "ولو لم يحدث ذلك لشعرت بأسى شديد .. فالشجاعة تقاس بعداء الجبناء والسمو يقاس بعداء الوضاعاء، والحرصاص هو التعبير الضعيف منتهى للضعف" ..

لقد استشهد الرجل أما كلماته فستظل خالدة، وسنرد بها على صوت الباطل مهما علا .. "إذا كان المقصود أن نتراجع فقد طلبوا المستحيل، وإذا كان المستهدف أن نخاف فقد ضلوا السبيل وإذا كان المطلوب أن نغمد القلم فقد أخطأوا رقم الهاتف وليس في هذا شجاعة منا بقدر ما فيه من منطق، فالموت أننا كثيرا من العيش في ظل فكرهم العبي وحكمهم العتي ومنطقهم الغبي .."

الحل فى المطبخ

خطة عبقرية تتفق عنها بعض الأذهان من حين لآخر وكلماء ألفت بالبلاد أية مشكلة . هذه الخطة تتلخص فى تركيز الحل عند نقطة واحدة . المرأة ! والمشكلة التى واجهتها أخيرا وزارة القوى العاملة والتدريب، وخصصت دراسة وإفية عنها أخيرا : هى البطالة.

والأمر ليس بحاجة إلى تليسكوب أو منظار مكبر لكى يدرك أى متجول فى شوارع القاهرة الحجم المهول الذى وصلت إليه هذه المشكلة، وأى عاقل له عينان تبصران حتى ولو كانا شيش بيش لا بد أن يشك كثيرا فى النسبة المئوية التى تقترحها الدراسة الرسمية عن البطالة فى مصر، إنهم يقولون إنها وصلت إلى ١٧% بين القادرين على العمل، أى حوالى مليون متعطّل، وأنا شخصيا أرى فى شلرنا وحده، أكثر من مليون متسكع ما بين بلطجى ومتسول وعاطل بالوراثه وعضو فى جمعية البطالة المقنعة .

والحقيقة أن أغلبهم يجد لنفسه حولا مبتكرة ليتغلب بها على محنة الانضمام إلى كشوف المتعطلين عن العمل، الواقفين فى طابور يمتد لأميال فى انتظار خطابات القوى العاملة .

ويقول تقرير وزارة القوى العاملة والتدريب أن ٩٠% من المتعطلين عن العمل متعلمون .. وهى نسبة مخيفة توضح تماما

حالات الاكتئاب والإحباط والميل إلى ارتكاب الجرائم والحدق على المجتمع، والرغبة فى الفرار .. إلخ التى تنفشى بين شبابنا اليوم .

لست متشائمة ولكنى أعتقد مخرصة أن الأسلوب الذى نعالج به مشاكلنا حاليا سيؤدى إلى ارتفاع نسبة البطالة عام ٢٠٠٠ إلى ٥٠% وليس ١٧% كما تتوقع الدراسة، وعام ٢٠٠٠ ليس ببعيد وإنما على بعد ذراع زمنية قصيرة أى ثمانية أعوام لا أكثر .

والصورة — من واقع التقارير الرسمية — لا تبشر بخير فالجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء يبشرنا بأن التعداد قد وصل فى مصر إلى ٥٨ مليون نسمة فى نهاية مارس الماضى .. وهذا يعنى أننا نزيد مليون نسمة كل ٩ شهور (لاحظ المصادفة) ! أى أن نساء مصر — بسم الله ما شاء الله والله أكبر — هن وحدهن اللاتى يقمن بعبء زيادة الإنتاج إلى أعلى معدلاتها ربما فى العالم كله ولا يهم إنتاج ماذا .. المهم أنه إنتاج والسلام والإنتاج البشرى على أى حال أرقى كثيرا من إنتاج الكثير من مفسدات الحياة والممببات فى اتساع ثقب الأوزون وانتشار التلوث على الكرة الأرضية !

الأهم عندى أن الدولة تنظر بعين الاحترام والتقدير لهذا النشاط البشرى الذى تفوقت فيه نساؤنا .. وهاهو تقرير رسمى صادر عن جهة رسمية هامة لا يشك أحد فى اهتمامها بزيادة الإنتاج — أى إنتاج

فضفضة

— ألا وهى وزارة القوى العاملة والتدريب . والتقرير يوصى بتشجيع النساء المصريات على المزيد من الإنتاج وذلك بالعمل على إعادتهن - تدريجيا - إلى مهمتهن الأصلية والوحيدة أى الإنجاب - والتحول إلى ربات بيوت مدربات متفرغات بالتوسع فى إنشاء مدارس ثانوية نسوية كى نتخلص من مزاحمة الفتيات للفتيان فى كليات الطب والهندسة والعلوم والإعلام .. إلخ خاصة بعد أن تجرأ كثير فى السنوات الأخيرة وأصبح يحتكرن المراكز المتفوقة فى أغلب الكليات .

إن إعادة هؤلاء الفتيات العبقريات النابغات إلى حظيرة البيت والإنجاب و "الستوتية" سيحل كل مشاكلنا دفعة واحدة، وبدلاً من إضاعة الجهد والوقت فى فتح مجالات جديدة لعمل الشباب وتعمير مدن الجنوب والشمال التى كادت تخلو من سكانها والإصلاح الجذرى للوائح العمل وأنظمتها فى المحافظات كلها .

هنا نحن نلجأ للحل العبقري الوحيد .. إعادة المرأة إلى البيت .

وأهلاً .. سنة ألفين !!

تسول .. اسرق .. أو انتحر !

الحياة تبدأ بعد الستين ..

عبارة يرددها الجميع دون أن يفهموا مغزاها .. الجهة الوحيدة التى فهمت المثل نصاً وطبقته عملاً هى هيئة التأمينات الاجتماعية .

وقد يبدو للمتأمل عن بعد أن هناك حالة تمرد على هذه العبارة بين موظفى الهيئة، وأنهم يضيقون ذرعاً بكل من بلغ سن المعاش، ويتقننون، فى عبقرية نادرة، فى تنغيص عيشته وهد حيله، بحيث يختار طائعاً مختاراً أن يغادر الحياة بعد الستين، فيريح ويستريح.

والواقع أن هذه نظرة سطحية ومتشائمة إذ أن هيئة التأمينات الاجتماعية تؤمن بأن الحياة كالوردة للبلدى لا تكتمل بدون أشواك ..

وأروع مثال على تطبيق تلك النظرية ما نشرته الزميلة الأهرام فى عددها الصادر يوم السبت ٢٧ يونيو الماضى تحت عنوان (٢٧ جنبها لـ ٦ أفراد) .

ومن يقرأ شكوى المواطن أنور محمد العزب قد يظن أن هناك خطأ مطبعياً فى العنوان، أو أنها إحدى فوازير رمضان التى تتهمر فوق رؤوسنا كل عام من جميع الإذاعات والقنوات .

فكيف يمكن لمواطن مصرى بلغ سن الستين ويعول أسرة مكونة من ستة أفراد أن يسكن ويأكل ويعالج أمراض الشيخوخة

فضفضة

ويصارح وحش الغلاء بسبعة وعشرين جنيهاً شهرياً ١٢

ولا تحاول أن تجيب .. فلن تجد أى حل . ولكن المواطن
المصرى المسكين عاش بهذا المعاش لمدة اثني عشر عاماً، وبالتحديد
من يوم ١٠ أبريل ١٩٨٠ (يوم بلغ سن المعاش) حتى وجدت شكواه
طريقها إلى النشر أخيراً يوم ٢٧ يونيو ١٩٩٢ .

اثنا عشر عاماً كاملة (أى ١٤٤ شهراً) وعم أنور لا يكل ولا
يمل من المطالبة بحقه المشروع فى معاش معقول يكفيه مغبة
السؤال ..

واثنا عشر عاماً كاملة (أى ٧٢٤ أسبوعاً) وموظفو هيئة
التأمينات الاجتماعية يتلقون شكوى المواطن المسكين ولا تتحرك
ضماائرهم أو تلين قلوبهم !..

ويزعم بعض الخبيثاء أن هناك مكافأة مجزية لكل موظف
حكومى يساهم فى إحالة مواطن مصرى إلى العالم الآخر غيظاً
وكمداً، وذلك لتطبيق سياسة الحكومة الرشيدة فى خفض نسبة التزايد
السكانى .. وهو جزء من خطة شاملة تتبعها الحكومة مع المسنين فى
هذا البلد .. فعلاً بالمثل القائل : أدبنى عمر وارمىنى فى البحر ..
قررت حكومتنا الرشيدة أن تلقى بالمسنين المصريين إلى عرض
البحر .

إن الدولة التى تعطي أحد رعاياها معاشاً شهرياً يوازى ثمانية
دولارات أى ٩٦ دولاراً سنوياً (وهو أقل من النصف من الحد الأدنى

فضفضة

للمعيشة فى العالم) إنما تطلب منه بكل وضوح أن يتصرف : أى يسرق .. أو يتسول .. أو ينتحر !

وعم أنور (٧٢ عاماً) ليس سوى مثال واحد من آلاف الحالات المشابهة الذين يكتفون بالمعاناة فى صمت ويؤمنون بأن الشكوى لغير الله مذلة .

وأيا كانت اللوائح القاصرة، والقوانين الغبية، والعقليات المتحجرة التى وضعت عم أنور فى هذا الموقف المستحيل، فلا عذر هناك يمكن أن يقبل من دولة عمل فى خدمتها ذلك المواطن لمدة ثلاثين عاماً كاملة، هى زهرة شبابه وأفضل سنوات عمره على الإطلاق .

وليس أمامنا نحن المتعاطفين مع هذا المواطن المعجزة سوى أن نقف صفاً واحداً ونبتهل إلى العلى القدير أن يطيل فى عمر الدكتوراة آمال عثمان هى وجميع العاملين فى هيئة التأمينات الاجتماعية حتى يبلغوا سن المعاش، ثم نحسبها معهم كم سيبلغ معاشهم .. وأى مستوى معيشى سيحققه لهم ذلك المعاش ..

دعوة ولية ساعة مغربية يارب ..

أما عن أوضاع المسنين فى هذا البلد .. فإلى الأسبوع القادم..

"أدينى عمر .. وارمينى فى البحر" ..

مثل قاله أجدادنا زمان .. لكنهم لم يتخيلوا يوماً أنه سيصبح شعاراً تعجب به كثيراً حكومتنا الرشيدة وتفعل ما فى وسعها لتطبيقه..

فبمجرد أن يثبت المواطن المصرى أنه قد أصبح معمرأ، أى تخطى سن الستين، تلقى به كل الجهات المسئولة فى عرض البحر .. وتتفص أيديها منه، ثم تتهد بارتياح ..
لقد عملت ما عليها وزيادة ..

وأقصى ما يمكن أن تعمله أى جهة مصرية مسئولة بالنسبة للمصرى المسن، هو أن تتظاهر بأنها لا تراه.. أو أن تتناسى وجوده تماماً ..

والدليل على ذلك، ذلك الكتاب الذى أصدرته منذ أيام هيئة الفولبرايت فى مصر تحت عنوان : الرعاية الصحية للمسنين ..
والكتاب حصيلة أبحاث علمية قامت بها مجموعة من الأطباء المتخصصين فى طب المسنين من أمريكا ومن مصر وقدموها فى مؤتمر أقامته بعثة فولبرايت فى مصر .

وعلى الرغم من الجهد المشكور لهذه المجموعة الفدائية وحسن طباعة الكتاب وتنظيمه إلا أنه أصابنى بغم عظيم . فمستقبلنا بعد الستين فى مصر لا يبشر بأى خير . وكان الأولى أن يكون عنوان

الكتاب : لا رعاية صحية للمسنين فى مصر .. فهذه هى الحقيقة بلا رتوش .. كما دلت عليها الأبحاث العلمية المنشورة .

وأقترح أن نتجاهل تماماً هذا الكتاب وندير ظهورنا لمجموعة العلماء الأجلاء ولا مانع من أن نوجه إليهم التهمة الجاهزة : التعلون مع جهات أجنبية لترويج شائعات مغرضة حول مصر أم الدنيا .

إن الكتاب يزعم أن مستشفياتنا المصرية جميعها تخلو من أقسام متخصصة لعلاج المسنين، وأغلب أطبائنا ليست لديهم مادة علمية ولا خبرة كافية فى هذا المجال، أما ممرضاتنا فلم يسمعن فى حياتهن عن شئ اسمه رعاية المسنين صحيا . وتزعم أبحاث الكتاب أنه بالإمكان التخلص من أغلب الأمراض العضوية والنفسية المصاحبة لكبر السن، بل إن كبار السن يمكنهم أيضا أن يكونوا عنصرا إيجابيا فى زيادة الإنتاج وحل بعض المشاكل ..

وفى بلاد لا تمتد حضارتها القديمة آلاف السنين مثلنا يكرمون كل من يصل إلى سن الستين فيمنح معاشا مناسباً، ومزايا لا حصر لها وتخفيضات إلى النصف فى تذاكر جميع المواصلات ودور المسرح والسينما والمتاحف وعلاج مجانى فى المستشفيات، وتبنى آلاف الدور الجميلة المجهزة بالحدائق الغناء والملاعب فى كل المدن والقرى لاستضافة كبار السن ..

فضفضة

وهذه الدول ترتكب خطأ فاحشاً .. إنها تجعل المسن يستمتع بحياته وتعوض له كل ما لاقاه في طفولته وشبابه من متاعب وعمل شاق .

أما نحن فسياسيتنا تجاه المسنين تتفق تماماً مع فلسفة الدولة في العمل بكل الطرق على تخفيض عدد السكان .. ولأن الأعمار بيد الله ولكل أجل كتاب، فلا حل سوى أن ندفع كبار السن في بلدنا إلى الانتحار، أو على الأقل يصابون بالاكئاب فتصد نفوسهم عن الأكل، وبذلك نساهم في حل أزمة التمويل !!

إننى أقدم التحية لهيئة الفولبرايت التى جعلتنا نكتشف أن نسبة المسنين في مصر في تزايد، وإنهم لا يلقون أى رعاية صحية، ولا اجتماعية . وأشكر الجمعية المصرية لطب المسنين على ذلك الجهد الذى بذله أعضاؤها فى عمل الأبحاث وإقامة المؤتمر، وأتمنى أن أرى كتاب الرعاية الصحية للمسنين مترجماً إلى اللغة العربية ليقراه عامة الناس .. وإلى اللغة الهيروغليفية التى لا يفهم المسئولون فى مصر غيرها ..

صديقتى السفيرة هدى المراسى .. وداعا ..

لم أكن أعرف وأنا أقف على باب سفارتنا فى روما أودع سفيرة مصر فى إيطاليا أن هذا سيكون عناقنا الأخير ..

ومنذ تعرفت إلى الراحلة العزيزة هدى المراسى، ونحن طالبتان بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، وعلاقتنا تقف فوق أرض صلبة من الإعجاب والحب والاحترام المتبادل ..

قد تمضى شهور طويلة أو سنوات فلا أرى هدى المراسى وجها لوجه، ولكنى أختزن فى أعماق قلبى نفس العاطفة التى كنت أكنها لها ونحن طالبتان لم نصل بعد إلى العشرين من العمر .. وأعرف عن يقين أن هدى المراسى ما إن نلتقى معا حتى تتحول على الفور إلى نفس طالبة كلية الآداب، قسم اللغة الفرنسية، التى تتوثب حماسا وينبض قلبها حبا للحياة .. وتتدفق للذكريات من مخزون الذاكرة وتتطلق ضحكات من القلب وتتبادل أدق تفاصيل حياتنا فى الشهور والسنوات التى أبعثنا الأيام ولم تبعدنا المشاعر عن بعضنا ..

ولأول مرة أطلب من الصديقة العزيزة هدى المراسى أن تحكى لى أثناء زيارتى الأخيرة لها فى روما مشوارها للدبلوماسية، وما تخلله من انتصارات ومشاكل، وهذه أهم المحطات التى مرت بها فى حياتها القصيرة كما روتها لى :

المحلة الأولى مرسى مطروح :

كنت حريصة على المشاركة فى معسكر الجامعة بمرسى مطروح أثناء الصيف، وذات يوم وبينما كنا نجلس شلة من الطالبات والطلبة فى كازينو يونانى يدعى فوتى، ترك لى أحد الزملاء بعض متعلقاته لأحرسها، وكان بينها شئ ملفوف فى جريدة يومية قديمة، ولكى أتسلى رحت أقرأ الجريدة، فوجدت إعلانا لوزارة الخارجية المصرية عن إجراء مسابقة لتعيين الملحقين الدبلوماسيين، وأن آخر موعد للتقديم سيكون يوم ٢٤ سبتمبر .

كنا يومها فى ٥ سبتمبر، واكتشفت أن زملاى جميعا قدموا للمسابقة . أسرعى إلى والدى لأستأذنه للتقديم ولكنه اعترض، فقد كان يرى أن المرأة مهمتها الوحيدة لسرتها وأبنائها .. وبعد إلحاح منى صحبنى والدى إلى القاهرة، وهو على يقين بأنهم لن يقبلوا امرأة فى هذا العمل . وقدمت أوراقى قبل إغلاق الموعد بأربع وعشرين ساعة، وكانت الأوراق ناقصة ولكن للموظف قبلها بعد أن وعدته باستيفاء المطلوب قبل مرور ٤٨ ساعة .

فى الامتحانات التحريرية كان ترتيبى الأولى على أربعمائة متقدم من مختلف الكليات، أما فى الشفهى فقد تأخر ترتيبى إلى التاسعة عشرة لأن بعض الأعضاء لم يكونوا مقتنعين بقدرة المرأة على العمل الدبلوماسى .. وأعطونى صفرا ..

المحلة الثانية ديحول :

رجال كثيرون وقفوا إلى جانبى وشجعونى .. أولهم السفير السابق حافظ إسماعيل الذى كان وكيل وزارة للخارجية، والسفير عبد المنعم النجار الذى عملت معه فى أول منصب لى دبلوماسى كملحة دبلوماسية فى سفارتنا بباريس . عند تقديمه لأوراق اعتماده إلى ديحول صحبنى معه، وكنت أبدا كطفلة مما لفت نظر الرئيس الفرنسى فسأل عنى وقيل له إبنى دبلوماسية مصرية، فسألنى : كم عمرك قلت ٢٣ سنة قال : أنت أصغر دبلوماسية الآن فى فرنسا ولذلك سأدعوك على العشاء فى ليلة رأس السنة، "فوجئت بأنهم جعلونى ضيف شرف وأن مكانى فى الحفل كان بجوار ديحول نفسه ..

المحلة الثالثة عودة إلى الورا :

ما إن عدت بعد انتهاء مدتى فى باريس إلى القاهرة عام ١٩٦٧ حتى حدثت النكسة، وفوجئنا بصدور قرار يمنع سفر الدبلوماسيين إلى الخارج، بدعوى أن السفر ليس حقا للدبلوماسى، وإنما الوزير حر يضع الشخص المناسب فى المكان المناسب .. والسفر لا يناسب المرأة . وكنا حوالى ثلاثين سيدة فى الخارجية .

المحلة الرابعة حماة السلام :

أسعد أيامى الدبلوماسية قضيتها فى دكار، عاصمة السنغال أحببت هذا البلد جدا، وثقت فيه طعم نجاحى كدبلوماسية .

المحطة الخامسة روما :

عينت في سفارتنا بروما في سبتمبر عام ١٩٨٤، بعد ثلاثة شهور رفيت إلى وزير مفوض، وكنت قائما بالأعمال وقت أن قرر الرئيس حسنى مبارك زيارة دولة إيطاليا بعد أسبوع واحد، وأشاع أعداء المرأة في الوزارة أنني لن أتمكن من الإعداد للزيارة، ولكن الزيارة نجحت للغاية، وأعلن الرئيس مد عملى فى روما ستة شهور أخرى وعندما تقرر تعيين سفير جديد، رشحنى الرئيس شخصيا لهذا المنصب لإجادتى اللغة الإيطالية، ولاتساع دائرة معارفى بين أهل البلد والدبلوماسيين ولخبرتى بالبلد . واعتبرت ذلك القرار انتصارا لا للمرأة المصرية ولا للدبلوماسية المصرية فحسب وإنما للعقلية المصرية أولا وللرجل المصرى ثانيا .

المحطة السادسة ياسمين، وريم :

زهرة تان جميلتان، غاية فى الذكاء والرقّة، كانت هدى المراسى تعتبرهما أجمل ما منحها الله من عطايا . هما : ياسمين (١٥ سنة) وريم (١١ سنة) .

أنجبتهما هدى المراسى من زوجها الدكتور خالد بكتاش (سفير مصر حاليا فى دولة بنين) وكانا قد التقيا بعد أن انتهت مهمتها الأولى فى باريس .

من سول لبرشلونة ياقلبي لا تحزن

انتظرنا نحن المصريون طويلا للدورة الأولمبية فى
برشلونة .. أعددنا لها كل ما نستطيع من عدة وعتاد : أكوام من اللب
والقول السوداني وكميات هائلة من المشروبات والمكسرات
والمشهييات ..

لم ننتظرها بشغف لنتابع شبابنا وشاباتنا وهم يتنافسون مع أكثر
من عشرة آلاف فتى وفتاة من جميع دول العالم ..

ولا لأننا نتوقع أن يفوز أى لاعب مصرى بميدالية ذهبية أو
برونزية فى واحدة من الخمس والعشرين لعبة الأولمبية ..

ولا لأننا يهمننا أن نتابع كل ما يحدث فوق أرض الأندلس التى
حكمها أجدادنا العرب قرابة الثمانمائة عام (من ٧١١-٤٩٢ م)،
كانت عصرها الذهبى، ومازالت آثارهم تدر عليها دخلها الرئيسى من
السياحة إلى اليوم ..

انتظرنا مجيء الدورة الأولمبية بلهفة لنمارس هوايتنا العظيمة
فى الجلوس جنب الحيطه والفرجة ع الزيطه ..

وجاء يوم الافتتاح، فمضينا أربع ساعات نتابع شبابا كما
الورد، يتوثبون نشاطا وحماسا وإقبالا على الحياة، جاءوا من القارات
الخمس ليثبتوا أن الإنسان قادر على إثبات المعجزات بعزمته وعقله
وعضلاته .. حتى وإن كان فيه جزء معوق فهو يشارك بالجزء

فضفضة

السلام، وقد أطلق سهم الشعلة المعلن لابتداء الدورة شباب أسباني نصف مشلول ..!

المشكلة الوحيدة التى أثارت استياعنا تلك الأعداد الغفيرة للفتيات المشاركات فى الألعاب الأولمبية، حتى رياضة اليخت لم تفتهن المشاركة فيها .

والحمد لله أننا لم ننسق وراء تلك البدعة الضلال، فكانت البعثات الرياضية لكل الدول العربية خالية - تقريبا - من العنصر النسائي . أما الفتيات اللاتي أفلتن من الحصار، وتمكن من مصاحبة بعض الفرق، فتتوقع لهن الفشل الذريع والرجوع الفورى من برشلونة على أول طائرة ..

وهكذا قدمنا فى أضخم دورة أولمبية فى التاريخ، صورة تابعة الأمم على شاشات التلفزيون، لعالم إسلامى هزيل، يرتجف جسده الواهى فوق ساق واحدة (الذكور) بينما الساق الأخرى (الإناث) مشلولة وعاجزة ..

وفى صباح اليوم التالى لافتتاح الدورة رحنا نتأمل والحسرة تملأ قلوبنا، فتيات يمثلن صحة وحيوية تصدرت صورهن الصفحات الأولى لكل الجرائد والمجلات العالمية، بعد أن فزن فى اليوم الأول للدورة بالميداليات الذهبية فى ألعاب عديدة .

دول عديدة قالت بأعلى صوتها إن البنت مثل الولد، وليس كماله عدد. فردت بنات من الصين وكوريا الجنوبية والمجر وبلغاريا

فضفضة

واستراليا بالتفوق على أخريات من الولايات المتحدة واتحاد الكومنولث (السوفييتي سابقا) وبريطانيا وفرنسا والسويد .. الخ .

قالت البنات إنهن لسن فى حاجة إلى مال قارون ولا سطوة البابا بوش للتعبير عن انتمائهن لبلادهن واعتزازهن بكرامتها .. لسن فى حاجة إلى خمسة ملايين دولار تهدر عبثا، ومبان طويلة عريضة يسكنها آلاف الموظفين بلا داع، وشعارات براقة وعود زائفة تبث عبر أجهزة الإعلام ..

إنهن بحاجة فقط إلى شعوب تؤمن بأن الله خلق العالم من رجل وامرأة، وأن الشباب هم الأمل والمستقبل، وأن الرياضة بكل أنواعها- هى الخلاص الوحيد لطاقتهم المهدرة من الضياع فى أحضان الأوهام والخرافات والكوابيس .

ويتساءل بعض السذج : لماذا يظل العالم الإسلامى كله فى المؤخرة، معطيا الفرصة الذهبية لأعداء الإسلام للتتديد به .

والإجابة ببساطة أنهم جعلوا شعار الدورة : "بحر- شمس حياة" ونحن للأسف لا نملك سوى بحرين فقط، أما شمسنا فلا تسطع إلا ٣٦٥ يوما فى السنة .. فقط .. وصحيح أن نبي الإسلام أوصانا بأن نعمل لدنيانا كأننا نعيش أبدا، لكننا نسينا .. وجل من لا ينسى !!

الصرب .. والمريخ

يبدو الصراع الضارى بين الصرب من ناحية وشعب البوسنة والهرسك من مسلمين وكروات من ناحية أخرى، كلغز يستعصى على الحل بالنسبة للكثيرين .

إن أسئلة حائرة مازالت تبحث بلا جدوى عن إجابات : فمن هم الصرب ؟! وماذا يريدون بالضبط ؟ وكيف عجز النظام العالمى الجديد عن وقف ذلك القتال فورا ؟ وما سبب تلك "اللخمة" التى أصابت الأمم المتحدة، والخيبة الثقيلة التى حطت على رجال العالم كله ؟!

فجأة تصدرت الصفحات الأولى لصحف العالم كله أخبار شعب صغير لم نسمع عنه من قبل اسمه الصرب ؟!! أصبحنا نتابع بذهول انتصارات الجيش الصربى الساحقة كأنه رامبو يحارب شعوبا غير معروفة، ولنفس الأسباب الوهمية .

والحقيقة أنه لا لغز هناك ولا يحزنون .. فالمتأمل للأحداث لابد أن يكتشف أن "الحوسة" التى أصابت النظام العالمى الجديد وأجبرته على أن يبل "المحروسة" للشرعية الدولية ويشرب ماءها لها ألف مبرر ..

فالصراع على أرض يوغوسلافيا يختلف تماما عنه فى أرض

فضفضة

العرب فعلى حين وصل صراخ للعرب واضحا جلجا إلى أذنئ الرئيس بوش ومساعدئه فهبوا لنجدة المظلوم وإبادة الظالم، فإن صرخات ونداءات وتوسلات رئيس البوسنة والهرسك لم تصل بعد إلى أسمع الرئيس بوش .. لئس لأنه مشغول إلى شؤسته بالانتخابات القادمة فى أمريكا، ولا لأن الأغلبية الكبيرة بين شعب البوسنة والهرسك من المسلمين، ولكن لسبب آخر لا يعلمه أحد حتى اليوم .

الحقيقة أن الجيش الصربى الذى يقاتل على أرض يوغوسلافيا ما هو إلا جيش آت من المريخ ولهذا السبب فإن رئيس يوغوسلافيا السابق لم استطع أن يتحكم فى ذلك الجيش ولن يستطيع أحد من أبناء البشر . فافراد ذلك الجيش لايعترفون بتلك الثقيلة التى صدقناها نحن بسذاجتنا المعروفة والمسمأة بالشرعية الدولية، وهم يهزأون بكل القوانين الدولية، ويمسحون أحذيتهم بقرارات الأمم المتحدة، ويحولون قرارات وقف إطلاق النار إلى نكت يتداولونها فيما بينهم وتثير عاصفة من السخرية والمرح .

ويتساءل الكثيرون عن ذلك القدر الهائل من الأسلحة الذى يمتلكه جيش صغير فى دولة صغيرة فكانهم عثروا على مغارة على بابا وبدلا من أن يجدوا فيها للذهب والجواهر النفيسة، استولوا على أسلحة من نوع غريب .. فالدبابة تلد عشرات الدبابات وكذلك الطائرة أما المدافع والبنادق فهى تفرخ كالدجاج، وتبيض .

وبينما تلعلع عبر موجات الأثير وعلى الشاشات الفضوية وفوق

فضفضة

صفحات الصحف بيانات الاستكار والشجب والاعتراض ضد وحشية جيش الصرب من كل رؤساء دول العالم فإن عملية التوالد بين أسلحة جيش الصرب تجرى فى سرعة الصاروخ وتتفوق كثيرا عن عملية التوالد بين أفراد الشعب المصرى الذى يصل معدل الزيادة بين سكانه إلى مواطن جديد كل سبع وعشرين ثانية !!

لذلك يجب ألا ننظم أحدا، فلا بد أن الرئيس بوش سيشفى قريبا من الصمم الذى أصاب أذنيه وسيهب لتأليف جيش آخر من المتحالفين ضد جيش الصرب، ولكن بعد أن يتحقق الهدف الأساسى من الحرب وهو تدمير البنية الأساسية لشعب البوسنة والهرسك والعودة بهم مئات الأعوام إلى الوراء حتى لا تقوم لهم قائمة قبل قرن آخر من الزمان .

أما العرب فإن الذهول الذى أوقف تفكيرهم وشل حركتهم تماما إزاء أحداث الحرب فى البوسنة والهرسك فسببه اكتشافهم أن الوحشية الضارية التى يمارسها الجيش الإسرائيلى ضد الفلسطينيين قد أصبحت "مودة" ودرسا خصوصيا يتبعه تلاميذ متفوقون، ليسوا جميعا من أعداء الإسلام، وإنما من أبنائه وعلى أرضه أيضا .. فى الجزائر ..

ولسوف يفيقون قطعا .. ولكن بعد فوات الأوان ..

المحافظ بأمره

يتشكك البعض في نوايا الحكومة المصرية الحقيقية تجاه بناء الديمقراطية، آخذين عليها بعض التصرفات والقرارات التي تبدو كما لو كانت تجرى بنا في الاتجاه المعاكس تماما ..

والواقع أن هذه الشكوك لا محل لها على الإطلاق، وبمنظرة واحدة إلى ما أحدثته الحكومة من تعديلات في قانون الحكم المحلي الصادر عام ١٩٧٦، توضح لكل من له عقل يفكر أن النية منعقدة بالفعل على تحقيق الديمقراطية الكاملة في بداية القرن الخامس والعشرين !!..

كان ذلك القانون القديم يعطى للمجالس الشعبية المنتخبة الحق لأول مرة في تاريخ مصر، في استجواب وتقديم الأسئلة وطلبات الإحاطة للمحافظ والوزراء تماما مثل مجلس الشعب . وبدأت المحافظات تنتفس هواء نقيا، وبدأ ممثلوها في المجالس المحلية يراقبون المحافظين، ويعترضون على بعض تصرفاتهم كممثلين حقيقيين وواعين لأبناء تلك المحافظات ..

وكان هذا بالطبع ظلما فادحا لبعض المحافظين الذين تمتد في عروقهم دماء الحاكم بأمره، الابن البار والوريث الشرعي للفرعون الإله .

فضفضة

تنمر المحافظون، واشتكوا، ووجدوا من ينصت لهم ويتعاطف مع مأساتهم فسحب من المجالس المحلية حق الاستجواب بعد ثلاثة أعوام فقط . ولكن الجماهير الواعية هبت تدافع عن حق ممثليها فى أن يكون لهم صوت ووجود وفاعلية ورقابة حقيقية على كل ما يحدث فى محافظاتهم، فأعيد الاستجواب مرة أخرى فبيل وفاة الرئيس السابق السادات، وأصبحت قرارات المجالس نافذة فى حدود اختصاصاتها بمجرد صدورها .

ولكن، والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، لدينا فى مصر جيش جرار من أتباع الحاكم بأمره، وهواة رفع لافتات الديمقراطية السورية، الذين لم يناموا الليل، ولم يهدأوا حتى تفتحت أذهانهم عن حيلة مأكرة حرمت الشعب المصرى من تجربة لو كانت نجحت لكانت جعلت من المحافظات مدارس حقيقية لممارسة الديمقراطية الفعلية : حكم الشعب للشعب ..

اكتشف أحد عباقرة الليبروطراطية أن الدستور المصرى يخلو تماما من كلمة الحكم المحلى، وأن للمجالس المحلية تتبع باب السلطة التنفيذية وليس باب السلطة التشريعية ..

وترجمة هذا إلى اللغة الهيروغليفية تعنى أن يصبح المحافظ وصيا على المجلس المحلى، أى وليا لأمره، ولا يجوز تبعا لتقاليدنا الشرقية أن يتبجح الإنسان على ولى أمره أو يقول له تلت التلاتة كام ..

ويلمسة سحرية من عصا البيروقراطية تحولت التجربة إلى سوء الإدارة المحلية، بدلا من الحكم المحلى، واعتبرت المجالس جزءا متما لأجهزة المحافظة، وأصبح المحافظ هو الذى يختار القائمة من بين رجاله وحاشيته وأصفيائه، ثم يبعث بها إلى الحزب الديمقراطى فيلتزم بها ويقدمها للانتخابات .. وتفوز طبعاً وبالثلث، لأن أحزاب المعارضة قاطعوا، كما نعلم، الانتخابات المحلية احتجاجاً على نظام الانتخاب بالقائمة ..

وفى بلاد أخرى ليس لها تراثنا العريق من التحايل على القوانين قد تتحول هذه الأمور إلى مسرحية هزلية تظل معروضة على أهم مسارح الدولة لمدة عشرة أعوام ويدخلها الناس عدة مرات لكي يستلقوا على قفاهم من الضحك على خفة ظل ودهاء بعض مستشارى حكامنا ..

أما عندنا فقد انقلب الهزل إلى جد، وصدقنا أن لدينا مجالس محلية وأنها منتخبة وأن أعضائها يمثلون الشعب فعلاً، مع أن كل مهمتهم أن يجتمعوا أربع أو خمس مرات فى الشهر . يحصلون فى مقابلها على مكافأة شهرية قدرها ثلاثون جنيهًا ! ولا أحد يفهم الفرق بين ما يسمى بالإدارة المحلية وأجهزة المحافظة، ولا كيف تكون مهمة ممثلى الشعب أن يواجهوا الأسئلة بكل لطف وأدب للمحافظين وقد يجب عنها المحافظون أو لا يجيبون، فالعضو المحترم محروم من الحصانة، ممنوع من حق الاستجواب، محظور عليه نهائياً سحب الثقة من المحافظ حتى

فضفضة

ولو خرب، هو وبطانته، المحافظة وقعدوا على تلها..!

وبمثل هذه الحيل المتجددة ستجح الديمقراطية في مصر نجلاح
مدرسة الفلاح، وعلى المتشككين وهواة زرع ألغام الفرقة بين
أنباء المحروسة حل من لثنين إما أن يلغوا عقولهم ويصدقوا أن فى
بلدنا ديمقراطية ..أو.. أن يهاجروا إلى ديروط ..
وإلى اللقاء مع وقائع أخرى من "أمجاد" الإدارة المحلية ..

مسلسل المهازل المحلية

منذ أسابيع قليلة اهتزت أجهزة التيكزز العالمية لتنتقل إلى العالم كله أغرب خبر فى مجال الإدارة المحلية .. لقد قرر السيد الوزير المستشار المحافظ لإحدى المحافظات المصرية أن يهب شارعاً بأكمله إلى هيئة عالمية . أثار الخبر إعجاب الملايين فى العالم كله، فراحوا يتذكرون الأيام الخالدة لهارون الرشيد، الخليفة العباسى الشهير وبطل حكايات ألف ليلة وليلة، الذى كان يهب مدينة بأكملها لمن يرضى عنه من الحاشية .

وتدفق إلى البلاد عشرات المندوبين الصحفيين والمذيعين بكاميراتهم ليصوروا الحدث التاريخى .

وكان السؤال الذى تردد على كل الألسنة فى ذلك الوقت : هل هب السيد الوزير المستشار المحافظ الشارع للهيئة العالمية بكل من عليه من سيارات وبشر ودواب أم أنه اكتفى بالأرض وحدها..؟

وجاء الرد على شكل سيل من الشكاوى التى انتهالت على كل المسؤولين ومن يعينهم الأمر من سكان الشارع الذين رفضوا الإذعان لذلك القرار الهمايونى، وقرروا الالتزام بخريطة الإسكندرية والتشبث بحق الوجود على ظهر الأرض .

ولأننا نعيش العصر الذهبي للحكم، أسفة، الإدارة المحلية، فقد أصر المحافظ مشكورا على عرض الأمر على مجلس محلى مدينة الإسكندرية، والمفروض وفقا لقواعد الديمقراطية كما تطبقها "خطأ" شعوب عديدة فى دول متقدمة، أن المجالس المحلية وسيلة لتعبير أبناء المحافظات عن آرائهم فى شتى الأمور الجارية، وأن هذه الآراء تؤخذ فى الحسبان دائما لأنها تصدر عن ممثلين حقيقيين للشعب، اختارهم بعناية ودراية ليكونوا ألسنته وعيونه وأيديه التى تقوم المنكر وتصر على المعروف .

والحق أن المجلس المحلى لمدينة الإسكندرية لم يخيب ظن المتحمسين للتجربة الديمقراطية للصورية، ولم يخذل سكان الشارع الضحية، فسارع بنجدتهم .. وفى قرار شجاع لا مثيل له فى تاريخ الحكم المحلى، صاح أعضاء المجلس صيحة رجل واحد، متوجهين إلى السيد الوزير المستشار المحافظ : تمام يا فندم .. نزواتك أوامر..!!

وافق ممثلو الشعب على إلغاء شارع بأكمله من خريطة إحدى أقدم مدن العالم كله .. الإسكندرية !!

والحقيقة أنهم لم يفعلوا سوى المطلوب منهم بالضبط.. وهو أن تكون "الإدارة المحلية" وسيلة للسيطرة على أبناء المحافظات، وقمع

ففضضة

رغباتهم، والتسلط عليهم، ومنعهم منعاً باتاً من حكم أنفسهم بأنفسهم .
وهى فلسفة عميقة، تتوارثها الحكومات المصرية التى تعاقبت
علينا منذ عهد مينا موحد القطرين، وهى من العمق بحيث لا يدرك
مغزاها أحد فى العالم كله سوى قلة من المسؤولين الذين لا يقرأون
الجرائد ولا يتابعون أخبار العالم ولا يفهمون على الإطلاق لماذا تهب
الأهالى فجأة فى بعض المدن المصرية لتعبر بالذوق وبالعافية
وبالشغب وبالحرائق وبالرصاص عن رأيها مادامت أبواب الحكم
المحلى قد أغلقت فى وجهها، ومادام البعض يصر على تجاهل
ستين مليون مصرى يحلمون ويتألمون ويعانون .. دون أن يسمعونهم
أحد !

ولأننا مازلنا نعيش أمجاد الماضى، ونتشبث بالعصر الذهبى
للحكم، فقد نسينا أو تناسينا أن نضيف إلى الدستور المصرى باباً فى
الحكم المحلى، ولو كانت المجالس المحلية شعبية بالفعل، أى لو أنها
عبرت بحق عن اتجاهات الناس من خلال ممثلين حقيقيين لكل فئات
الشعب وطوائفه، لما كان مسلسل المهازل الذى يجرى اليوم فى
المحافظات المصرية تحت اسم الإدارة المحلية، ولما تمكن بعض
المحافظين من أن يصول ويجول، ويتحكم فى رقاب العباد كما لو
كان يتصرف فى عزية خاصة ورثها عن جده محمد على الكبير .

فضفضة

وقد يظن بعض المتشككين أننا نكتب ما نكتب لكي نهاجم السيد الوزير المحافظ المستشار أو نجرده من بعض سلطاته المطلقة .

ولكن معاذ الله .. لواقع أننا فعل ما نفعل لكي نحفز الحكومة على أن تتشجع وتتوكل على الله ونلغي تملأا بعبدية الإدارة لمطية، لكي لا حول لها ولا قوة، ولكي لا قلقة منها على الإطلاق سوى تعطيل عمل السلطة لوزراء المحفظين الواعك والمستشربين والكلثة .

فلنكف عن خداع أنفسنا والتظاهر بأن الشعب المصرى فى المحافظات يتمتع بقدر من الديمقراطية .. ولنسم الأمور بأسمائها ولندع ما لله لله .. وما للمخاف للمحافظ بأمره .

وما زال المسلسل مستمرا .. فإلى طرائف أخرى من "أمجاد" الإدارة المحلية ..

نهر السين فى الإسكندرية

يجرى حاليا الإعداد لعرض المسرحية الهزلية التى تسمى انتخابات المجالس المحلية فى نوفمبر القادم، وعلى الرغم من الفشل الذريع الذى لاقته هذه المسرحية على مدى السنوات الأربع الماضية إلا أن هناك فى حكومتنا الرشيدة من لا يزال يصر على إعادة العرض، وبنفس الأبطال المرفوضين : القائمة المطلقة وقانون الإدارة المحلية .

ويزعم هؤلاء المصريون على أن جمهور المحافظات "عاوز كده"، أى أنه يتشبث بالإدارة المحلية ويرفض عنها أى بديل .

والواقع أن هذا الرأى له ما يبرره . فقد أثبتت أحداث الشهر الماضى فى مدينة إدكو اعتزاز الأهالى بالإدارة المحلية، لدرجة أن أول مبنى تدافع المشاغبون لهدمه، وإشعال النيران فيه كان مبنى مجلس المدينة . ولم يشف ذلك غليل البعض فتوجهوا بعد ذلك إلى الفيلا التى يسكنها السيد رئيس المدينة وأشعلوا فيها النيران، فهل هناك دليل أقوى على افتتان أهالى المحافظات بالإدارة المحلية وأسلوبها الرائع فى خدمة مدن وقرى مصر !!..

إن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تهز شعرة فى رأس المسؤولين

فضضة

فى بلدنا الذين أقسموا برأس جدهم الأعلى قراقوش أن الشعب المصرى شاء أم أبى لابد أن "يستمتع" بالديمقراطية على طريقة الإدارة المحلية ..

الأمر الذى يبرر تصرفات بعض المحافظين المصريين الذين يهبطون على رؤوس المحافظات بالهليكوبتر لا تعرف من أين جاءوا، ولا أين يذهبون بعد ذلك . كل مؤهلاتهم أنهم أحفاد وورثة غير شرعيين للحاكم بأمره . وهم لا يفعلون والحق يقال كما كان الحاكم بأمره يفعل بالشعب المصرى، فالزمان قد تغير، والدينا تقدمت، والعالم كله أصبح يطالب بالديمقراطية اليوم .

لكنهم يتصرفون كما يتصرف الأب مع أطفاله الصغار . ولأن الطفل غريب فهو لا يعرف مصلحته، ولابد أن يرشده المحافظ، وأن يتجاهل رغباته حتى لو صدرت عن مجلس محلى منتخب فى ظل القانون القديم للحكم المحلى : قانون عام ١٩٧٦ .

وكان المجلس المحلى السابق لمحافظة الإسكندرية قد أصدر قرارا برفع ترعة المحمودية وتحويلها إلى طريق سريع دائرى تحتاج إليه المدينة لى يخف الضغط للمرورى بداخلها . صدر ذلك القرار بعد إتمام حفر ترعة النوبارية خارج الإسكندرية لتكون بديلا عن ترعة المحمودية فى مد مياه الشرب للمدينة، والترعة الجديدة تمتد من

النيل وتصب في البحر، وتصلح للملاحة .

تجاهل السيد المستشار للوزير المحافظ قرار المجلس المحلى السابق الذى كان يستهدف توصيل شرق الإسكندرية وغربها بشوارع يصل عرضه إلى مائة وخمسين مترا، ويتسع لكل المواصلات .. وقرر أن يحول الترعة إلى نهر (!!) يجرى وسط الإسكندرية كما يجرى نهر السين وسط باريس ..

كيف تتحول ترعة مغلقة، ألغى هويسها منذ سنوات بعيدة وأصبحت بلا مصب، وأهملت تماما حتى تحولت إلى مصرف صحى للمناطق المحيطة بها إلى نهر !؟ هذا هو السؤال الذى لم يخطر ببال أى عضو من أعضاء المجلس المحلى أن يوجهه للسيد المحافظ الوزير المستشار .

وكيف يسألون والمحافظ قد بدأ فعلا فى تنفيذ قراره العجيب ثم إن قانون الإدارة المحلية لا يعطيهم الحق فى توجيه سؤال للمحافظ أو رفض قراراته أو سحب الثقة منه ..

إن القانون يعطيهم فقط الحق فى الفرجة ببلاش على مهازل الانفراد بالسلطة واللى ما يشتري يتفرج ..

ولا يزال عرض المسرحية الهزلية مستمرا ..

زلزال حبنا

لا بد أن نشكر أمنا الأرض التي بعثت إلينا برسالة حارة، مليئة
بالأشواق من أعماقها، لكي تزلزل حياتنا وتهدم بيوتنا فوق أمهات
رؤوسنا ..

لا بد أن نذكر بالعرفان أفضال زلزال أكتوبر زلزال حبنا
علينا وتأثيره الواضح على حياتنا وكفى أننا كنا نغط في نوم عميق،
حتى جاء الزلزال، فهزنا، وهز بيوتنا وشوارعنا وأيقظنا، فأيقظ
ضماننا وأعاد إلينا الوعي ..

كنا نعيش في غيبوبة حالمة، ما إن يهل شهر أكتوبر الكريم
حتى نتراص في صفوف ونروح نغنى ونهتف لأنفسنا .

كان كل شيء في حياتنا يتحزم ويرقص : أغانيها، إعلاناتها،
أفلامها، حتى جاء الزلزال فهز بيوتنا وجعلها ترقص هي أيضاً حتى
يسود العدل في كل شيء ..

كنا نفخر بمظاهر التحضر التي تنتشر وتتفشى في أحيائنا :
المعادي ومدينة نصر والمهندسين .. أحياء صارت تتنافس مانهااتن
في نيويورك أكبر مدن الولايات المتحدة الأمريكية في عدد أبراجها
وارتفاعها .

فضفضة

فإذا بالزلازل يأتي ويلقى بالخبر الصاعق في وجوهنا .. فى القاهرة وحدها نصف مليون برج مخالف لقوانين البناء وقواعد التشييد السليم، فى مدينة نصر وحدها مائة ألف برج مخالف ..

وهكذا، فجأة، وبفعل هزة أرضية بسيطة فى عرف الجيولوجيا صرنا نتفوق على أغنى الدول وأكثرها تقدما وتطورا .. فبالقطع لن يكون فى أمريكا أو فرنسا أو ألمانيا أو اليابان عشر هذا العدد من الأبنية المهددة بالانهيار أو التصدع .

ولا واحد فى المليون من عدد المقاولين والمهندسين والمسؤولين معدومى الذمة، فاقدى الضمير مثلما عندنا !..

ولولا زلازل أكتوبر الماضى زلزال حينا لما علم الناس الطيبون فى بلدنا أن ٨٠% من المدارس التى يتوجه إليها أبناؤهم وفلذات أكبادهم كل صباح لتلقى العلم ما هى إلا قبور تغفر أفواهها فى انتظار أن تلتهم تحت أنقاضها تلك الأرواح البريئة ..

ثمانون فى المائة من المدارس انتهى عمرها الافتراضى، وأصدر الزمن حكما بالإعدام عليها وارتسمت فوق حوائطها وأبوابها حروف واضحة لا تحتمل اللبس تقول : خطر، وترسم جماجم وعظاما لتحذرننا ..

فضفضة

ولولا الزلزال ما كنا سنصدق .. وكان المسئولون
المتخصصون فى تكذيب أى خبر سيصدرون البيانات ويتهمون
الصحافة بالتهويل وبإشاعة الأكاذيب بين الناس ..
ولكن الزلزال حدث .. وظهرت آثاره فوق آلاف المدارس،
وأغلقت بسببه مئات المدارس، واحتاجت آلاف أخرى للترميم
العاجل ..

ويسبب الزلزال تنبها للمحن التى تمر بها أثارنا

فلولا الزلزال لكانت أم حسين لازالت تلقى بمياه الغسيل فوق
أساسات المساجد الأثرية وأيوعليش يدق للمسامير ليعلق جلبابه وست
الدار تنزع الباب الأثرى لتصنع منه طبلية يتعشى فوقها أبو العيال ..
لأن للزلزال جاء، عرفنا أى جريمة كنا نرتكب فى حق ثروة
مصر الأساسية .. الآثار ..

فقررنا أن نتخلى عن نعلس الاطمئنان اللذيذ وأن نتحرك .

نحن نعرف الآن ويفعل زلزال أكتوبر أن الحياة لم يعد
لونها "بمبى" .. بل "رمادى" فى لون التراب الذى كنا نصنع منه
مساكننا ثم انهار ليُدفن أحباؤنا تحت أكوامه ..

فضفضة

البعض منا صار يدرك اليوم أن "الكوسة" فى التعامل ليست مجرد وجبة ساخنة لذيدة يلتهمها فيتضخم رصيده فى البنك فجأة، وإنما هى سم علقم يقتل به أبناءه وأقاربه وجيرانه الأبرياء .. وأن يوم الحساب آت لا ريب فيه ..

وكما نستفيد من سم الثعابين فنصنع منه دواء للأمراض مستعصية، لابد أن نستفيد من درس الزلزال . فبقدر الألم يصير التطهير .. وبقدر الوعي بأبعاد المأساة، يصير الأمل كبيراً فى أن يتحول يوم ١٢ أكتوبر ١٩٩٢ إلى نقطة تحول ضخمة فى تاريخ مصر، يختلف ما سيجىء بعدها تماماً عن كل ما كان قبلها..

اللهم زلزل كيانهم و"هد حيلهم" أولئك الذين هدموا أعشاشنا وشردونا وأطاروا النوم من جفوننا .

اللهم زلزل نفوسهم الأنانية وعقولهم الفاسدة وضمائرهم الميتة.. أنت تعرفهم واحداً واحداً فانقم لنا منهم .. اللهم آمين ..

"حمورابى" يموت مرة أخرى

يذكرنا الصديق مختار السويفى من آن لآخر بما كان يحدث فى مدن ودول العالم القديم . ومنذ أسبوع كتب عن قانون حمورابى الذى كان يحكم بابل منذ أربعة آلاف سنة، وكان يقضى فى إحدى مواده بإعدام من يقوم ببناء منزل وينهار ذلك المنزل ويتسبب فى وفاة صاحبه أو سكانه ..

ذلك ما كان يحدث زمان قبل اختراع الطائرة والكومبيوتر والتليفزيون .. إلخ . كان من السهل على الحاكم أن يعرف من الذى بنى البيت وتسبب فى هدمه وقتل سكانه .. أما اليوم فمثل هذا الأمر دونه الأحوال ..

فإذا أردت أن تعرف من المتسبب فى تصدع عمارة كان عليك أن تشرع فى رحلة الألف ميل التى تبدأ بخطوة هى الاتجاه إلى إدارة الحى الذى تقع فيه تلك العمارة . وهناك ستصدم باكتشاف عدة حقائق مرة .. أولها أن أغلب بيوت القاهرة العامرة بنيت بدون مهندس .. وصدق أو لا تصدق .. تلك هى الحقيقة . فلأننا شعب طيب يأخذ الأمور "علاوة" كان يكفى أى صاحب ملك أن يرى رجلاً سميناً،

وبكرش، ويرتدى الجلباب اللبدى وفوقه بالطو من الصوف الإنجليزى العتيق ليصدق أنه مقال .

وفى بلاد العالم المتحضر والبدائى والنص نص، مهنة المقولة لها شروط وضوابط دقيقة، ولا يمكن أن يعهد ببناء مساكن الناس إلى من لا يعرف الألف من كوز اللرة . أما فى مصر فأهم شرط لكى تصبح مقاولاً غشاشاً، أن تكون من قبيلة من هب ودب . ثانياً : ألا تكون لك أى مهنة لأنها مهنة من لا مهنة له . ثالثاً : أن تكون "بجح" وفاجراً لأنك لم تتدخل مدرسة فى حياتك، ومع ذلك تزامم المهندسين المتخصصين وتشاركهم فى أرزاقهم . ولن يكون العيب منك، بل من القانون رقم ٩ للمنشآت العامة ..

هذا القانون يقول بالفم المليان إن الحكومة لا تهمها إن كنت خبيراً أو جاهلاً، إن كنت لصاً أو تقياً، إن كنت فاهماً أو فهلولياً .. المهم فقط أن تتقدم بأقل عرض على الإطلاق وهو ما يسمى بالمناقصات ..

المبنى الذى لا يمكن أن يتكلف أقل من مليون جنيه، كان المقاولون إياهم يتقدمون بعطاء قدره نصف مليون .. وطبعاً لا بد أن يرسو عليهم العطاء لأنهم قدموا أرخص العروض .. ولأن المقوليين

فضفضة

الشرفاء رفضوا أن يبيعوا ذمتهم للشيطان . والحقيقة أنهم كانوا يعلمون أنهم لن ينفقوا فى بناء المبنى سوى ربع ما عرضه ..

أما كيف، وأين تكمن أرباحهم وكيف تتضخم ثرواتهم، فأى تلميذ فى المدرسة الابتدائية يستطيع أن يقول لك ..

وقد يظن متشكك أن الحكومة تقسم الغنيمة مع هؤلاء المقاولين "الأرزقية"، وهذا ظلم فادح وافتراء وافتئات على حكومة طيبة وعلى نياتها ويهمها أن يأكل الشعب كله عيشاً .

واتحدى من يستطيع أن يدلنا على متهم واحد فى أى إدارة حكومية تتعامل مع المبانى والمنشآت .. إن أول خبرة يتعلمها موظفو تلك الإدارات، هى كيفية الخروج كالثعرة من العجينة أولاً ثم كيفية "تستيف الأوراق" وتسديد الخانات .

فإذا وصل مقال من إياهم إلى الحى وأبدى رغبته فى تعلية بيت متواضع خمسة عشر دوراً تصدى له موظف "نهم" يخدم لوجه الله، وقدمه لمهندس صغير، معدوم الذمة، خبير فى عمل الرسومات "المفبركة" التى توافق كل شروط الترخيص .

رسومات يعلم صانعها ومشتريها أنها لن تنفذ ولكن كل مهمتها تسديد خانة واستيفاء شرط من شروط الحصول على الترخيص، ثم الحفظ فى سجلات الحى .. وكفى الله المؤمنين القتال ..

ولو أن حمورابى عاد للحياة وزار مقرأ من مقرات الأحياء بمدينة القاهرة ورأى عدد الرسومات المفبركة المحفوظة بسجلاتها والتي يمتنع الموظفون عن تسليمها لأى مخلوق لأن ربنا أمر بالستر .. لطب حمورابى ميتا بالسكتة القلبية .. ليس حزناً وكمداً على المرتبات الضئيلة التى يتقاضاها مهندسون يتداولون فى أعمالهم ملايين الجنيهات .. وإنما سيموت حمورابى من الدهشة .. لأن كل الرسومات التى منحت تراخيص بناء البيوت المنهارة على أساسها صورة طبق الأصل لرسومات بيوت بابل، التى كان يحكمها منذ أربعة آلاف عام ..!

ماجدة .. والرجال ..

بعض "النسوة"، من ذوات اللون والعياذ بالله، يشعن أن الرجال متعصبون ضد المرأة، وهذا افتراء يمكن ضحده بعشرات الأمثلة لرجال آمنوا بمواهب "الأُنثى" وهى جزء من المرأة وعشقوها حتى الموت : موت الأُنثى والمرأة معاً .. طبعاً ..

وبعيداً عن الحوادث اليومية العادية لقتل الزوجات، هناك رجال آخرون خموها حماهم الله من نفسها، فاعتقلوها داخل أفكار العصور الوسطى، وهتفوا بالروح والدم فداء لمواهبها فى الطبخ والغسيل .. وأمور أخرى ..

المذهل أن بعض النسوة من ناكرات الجميل يتمردن على تلك الحماية القسرية، وينطلقن إلى عالم الإنجاز والإبداع، مع أن المفروض أنه عالم رجال، رجال، رجال، وبذلك تتحطم القاعدة التى تقول إن المرأة جسد فقط، إذا اختفى، اختفت مع كل رذائل الأرض..(١)

ولأن الناس لا تكل ولا تمل فقد ابتدعوا قاعدة أخرى تقول :
فتش عن الرجل، فإذا كانت الفرنجة تزعم أن وراء كل رجل عظيم

امراة، نقول نحن وبالصوت الحياىى : ووراء كل امراة عظيمة ..
رجل ..

لذلك لم نندهش كثيراً أن يقوم مهرجان القاهرة السينمائى هذا العام بتكريم الفنانة الكبيرة ماجدة . ذلك لأنها واحدة من أولئك النسوة اللاتى حطمن تلك القاعدة المذكورة آنفاً، وأثبتن أن المرأة قادرة على اقتحام المجالات الصعبة، وتخطى العقبات، وإحراز أقصى درجات النجاح، دون أن يحتمين فى ظل رجل أو "ظل حيطه" .. ودون أن يتراجعن مرتجفات ناديات تأتبات .

لم تفعل ماجدة ما تندم عليه، أو ما يشعرها بالخجل من نفسها على الإطلاق، وعبر مشوار طويل بدأته فى أوائل الخمسينيات كتلميذة فى المدرسة، اكتسبت احترام وحب وثقة الجميع، وأصبحت رمزاً حياً وجميلاً للمرأة الموهوبة للجلادة الملتزمة بالعطاء الوفير لوطنها ولبنات جنسها على السواء .

إن عدد الرجال الذين وقفوا إلى جانب ماجدة وشجعوها، ومنحوها الاحترام والثقة فى النفس لا حصر لهم وعلى رأسهم طبعاً المخرج الراحل أحمد بدرخان الذى قدمها عام ١٩٥١ فى أول أفلامها "لقطة" عن قصة للكاتب الراحل عبدالحليم عبدالله، ففازت

بجائزة عن دورها فى ذلك الفيلم، وفازت ببطولة ثلاثة أفلام أخرى من إخراج المخرج الكبير بدرخان .

ثم هناك المخرج الراحل أحمد ضياء الدين الذى ساندنا وأخرج لها العديد من أفلامها وأبرزها "مع الأيام"، و"أين عمرى"، و"المراهقات" .. وكلها علامات بارزة فى تاريخ السينما العربية .

وقائمة "الرجال" والرجال قليل، التى وقفت وراء ماجدة تضم أسماء كبيرة مثل حسن الإمام، وهنرى بركات، ويوسف شاهين، ونجيب محفوظ، وعبدالله الشرقاوى، والراجلين يوسف السباعى، وإحسان عبدالقدوس، وديوسف إدريس .. ثم أخيرا الكاتب الكبير سعد الدين وهبة رئيس مهرجان القاهرة السينمائى، والعملاق الذى يقف فى صف الحق والعدل .. والمستقبل ..

إن تكريم ماجدة يعتبر تكريما لكل النساء المصريات اللاتى رفضن رفضا قاطعا النوم فى أحضان الكسل والخمول والارتزاق من أنوثتهن، وإلقاء عقولهن وضمايرهن خلف مشربيات التخلف، والتعفن وراء أسوار القصور الشاهقة ..

وتكريم ماجدة يحطم تلك القاعدة المتخلفة التي تزعم أن الرجل لا يشجع المرأة على الخروج إلى العمل، وعلى الإنجاز والإبداع والمساهمة في بناء الحضارة، إلا لكي يستمتع بها كأنثى، أو يستغلها كضحية .. إنه يثبت أن لدينا في مصر والحمد لله عدداً ضخماً ممن الرجال الذين تخطوا مرحلة "وَأد البنات"، وارتقوا بعقولهم إلى مستوى النظر والاعتبار لإنسانيتها والملكات التي منحها لها الخالق سبحانه وتعالى ..

ولقد سبق وكرمت السينمائيات المصريات من مخرجات وكاتبات ومصورات ومونتيرات .. إلخ الفنانة الكبيرة ماجدة فاخترناها بالإجماع رئيسة شرفية لأول جمعية عربية للسينمائيات، ثم انتخبناها بالإجماع أيضاً رئيسة لمجلس إدارة الجمعية الأول .

ومن قبل هؤلاء جميعاً أبدت الجماهير العربية رأيها في ماجدة، فأقبلت في كل البلاد العربية على أفلامها، وكرمتها وقدمت لها عدداً لا حصر له من شهادات التقدير والوفاء .

إن الفنانة الكبيرة ماجدة أو عفاف على كمال الصباحي ليست مجرد ممثلة موهوبة، ولكنها فنانة كبيرة استطاعت على مدى أربعة عقود متوالية أن تفرض وجودا

فضفضة

ونجاحا فى مجال الإنتاج السينمائى وصناعة السينما لم يحققه الكثيرون . إنسانة جادة وعت بعمق الدور السهام الذى يمكن أن تؤديه السينما فى مناقشة القضايا وتغيير المفاهيم التى عفى عليها الزمن وتأهيل الإنسان العربى لاجتياز الحاجز الصعب بين الموت والتخلف، وبين الحياة والانطلاق إلى المستقبل .

تحية لماجدة من القلب والعقل معاً، وتحية أكبر لأولئك الذين توجوها عن جدارة على رأس السينما المصرية والمرأة العربية فرفعوا رؤوسنا جميعاً ..

الإرهاب والعيشة الهباب

بمناسبة العام الجديد الذى ندعو الله أن يكون عاماً سعيداً،
أوجه الدعوة صادقة لكل وزير ولكل مسئول كبير لقضاء شهر كامل
حافل بالمفاجآت والإثارة ..

لن أَدعوهم إلى السياحة التى ملوا بلا شك التردد عليها
بمناسبة وغير مناسبة، ولكن سأدعوهم إلى أماكن "أوريجينال"، أى لم
يسبق لهم زيارتها ولا حتى فى الخيال ..

كعبيش وناهيا والهجانة والنقوية ومنتشية الحرية ووراق
الحضر .. وقائمة أخرى من "العزب السياحية" التى تتهاقت الصحافة
المحلية على زيارتها، ويتسابق الإعلام العالمى على التقاط صورها،
وتسجيل ما يصدر عن بعض سكانها من بيانات وتصريحات،
لتطفيش السائحين والسائحات ..

إنها دعوة لتجديد دماء العمل العام فى بلدنا فى أحياء وصفت
خطأ بأنها عشوائية، وتمادت بعض صحف المعارضة فزعموا أن
الحياة بها تكاد تكون مستحيلة .

ادعوا أن من يقيم بتلك الأحياء لمدة سنة واحدة لابد أن يتحول
إلى إرهابى، وأن يوجه حقه إلى العالم كله، الذى انطلق إلى القرن

الواحد والعشرين وتركه فريسة لأسلوب معيشة أقرب إلى ما كان يعيشه أجداده قبل الميلاد ..

على وزرائنا وكبرائنا وأولى الأمر فينا أن يكذبوا هذه الادعاءات، وأن يثبتوا للعالم كله أنها مجرد افتراءات، ينفثها أعداؤنا في شتى الصحف والإذاعات ..

ولن يكلفهم الأمر سوى الإقامة الكاملة في فنادق "خمس هموم" بتلك الأحياء، ولابد أن يسرعوا للحجز من الآن لأنها جميعا كاملة العدد، و"الزبائن" يتراحمون عليها لدرجة أن كل عشرة منهم يقيمون في الغرفة الواحدة ..

وبإقامة وزرائنا وكبرائنا في تلك الأحياء سيثبتون بالدليل القاطع أنه لا توجد فجوة بين الشعب والنظام، وسيدحضون الرأى القائل بأن الحكومة المصرية بأخطائها المركبة هي التي خلقت تلك الأحياء العشوائية . كل ما في الأمر أن حكومتنا "حساسة" وتكوه من يتجاهلها، ولأن أبناء الريف هاجروا إلى المدن من وراء ظهرها وأقاموا في تلك الأحياء رغما عن إرادتها فقد قررت أن تتجاهلهم هي أيضا وأن تخاصمهم وتكرر أبوتها لهم كما يتبرأ العاصي من رذيلته وتحرمهم من الميراث ..

فضفضة

إن سكان هذه الأحياء العشوائية يستحقون بالقطع ذلك العقاب الصارم الذى أنزلته عليهم "ماما الحكومة"، فهم لا يعكرون مزاجها فقط بل وينكثرون بشكل غير عادى، وتتضخم أعدادهم وتتضاعف مشاكلهم، وتنفسى بينهم الميول التطرفية والعنصرية، وتسرى بين حجراتهم المعتمدة الرطوبة أفكار هدامة سوداوية ينشرها المشعوذون والخارجون على القانون ..

لذلك كان من الطبيعى أن تدير حكومتنا المتعاقبة ظهرها لهم، وتمنع عنهم الماء والهواء والصرف الصحى والكهرباء .. وإمعاناً فى "خطة التطفيش" العقابية حرمتهم حكومتنا السنية من أية وسائل اتصالات بالعالم كالتليفونات والمواصلات العامة ومراكز الشرطة..الخ

وهى خطة حكيمة بلاشك كادت تفلح فى "تكفير" هؤلاء المنبوذين و"هجرتهم" مرة أخرى إلى الريف ليرتقوا من درجة المنبوذين إلى المنسيين .. كادت الخطة الرشيدة أن تتجح لولا شرذمة من الصحفيين الذين راحوا يتابعون باهتمام حركات التمرد التى قامت فى المنيرة الغربية، إحدى تلك العزب السياحية وربطوا قسراً بين الإرهاب والعيشة الهباب التى يعيشها أبناء ذلك الحى .

على وزرائنا وكبرائنا وبهوات مصر أن يثبتوا بإقامتهم هناك،
أن عيشة أولئك الناس أحلى من العسل ولذلك يتكاثر حولهم الذباب
وأن الروائح التي تتركم الأنوف فيها من تراكم القمامة منذ سنوات
أحلى من البارفان، وأن المجارى الطافحة، والبرك الراكدة التي تعوم
فيها جثث الحيوانات، والأزقة الخائقة والشوارع غير المرصوفة
والبيوت .. كل هذه الأمور البسيطة لو تجاهلناها يمكن أن تحول
حياتنا إلى جنة .. فقط لو حسنت النوايا ..

جائزة "ديشليون" جنيه لم يتحمل الإقامة هناك لمدة يوم واحد..

حبيبك يبلعك الزلزل

لو كنت رئيسة لوزراء مصر لألقيت القبض فوراً على
أستاذ بكلية الهندسة متخصص فى التخطيط العمرانى يدعى
د. شريف سعد الدين .

فهذا الأستاذ الجامعى قد أثبت بما لا يدع مجالا
للشك أنه لا يحب مصر ولا يحب القاهرة، عاصمتها الغراء،
بالذات ..

فإذا كان المثل العامى يقول "حبيبك يبلعك الزلزل"، فقد
أثبت الدكتور شريف سعد الدين أنه يئمنى له الغلط ..

والخطأ الجوهري أن هذا الابن غير البار لمصر لم
يعين وزيرا، وبالتالي فهو لم يتعلم كيف يحب مصر مثل
وزرائها الهمام .

إن الحب كما يقولون أعمى، وبالتالي فمن يحب القاهرة
عليه أن يثبت أنه لا يرى كل ما بها من سوءات وكوارث،
ولنا فى كبرائنا والمسئولين عنا وأولى الأمر فىنا قدوة حسنة..

وزير الإسكان والتعمير مثلاً، يرفض أن يتزحزح من القاهرة، ويعتبرها المكان الوحيد الجدير بالتعمير، ويرفض أن يعترف أن نصف مبانيها كما يزعم د. شريف آيل للسقوط ، ولتذهب الزلازل إلى الجحيم، لأنها أرسلت إنذاراً فى أكتوبر الماضى يؤكد نظرية الأستاذ الجامعى المتمرد ..

أما وزير الزراعة فقد أثبت أنه أكثر عشقا للمدينة الساحرة، فقدم لها على طبق من الفضة الخالصة أكثر من خمسين ألف فدان من الفاكهة والخضروات كانت تغذى سكان العاصمة وتمدهم أيضا بالأوكسجين .

قدم هذه الفدادين، هدية بسيطة لمعشوقته، ابتلعتها فى جوفها وحولتها إلى مناطق سكانية غاية فى القبح والقدارة .

ولم يكن محافظ العاصمة بأقل حبا للقاهرة من ذلك الوزير، ولا أقل تعطشا لبلع الزلط، واعتباره زبيبا، فغضوا أبصارهم عن الأحياء العشوائية، وتركوا سوس التطرف والشعوذة والإرهاب وكافة أنواع الانحراف ينخر فى عظامها. بل إنهم أهملوا الأحياء الأخرى لكى تتسلاوى مع الأبناء غير الشرعيين فأصبحوا جميعا فى الهم شرق.. أنيمياً ولين عظام وقمامة على قفا من يشيل، ويستكثر أستاذ التخطيط العمرانى

فضفضة

على القاهرة أن تستأثر بـ ٤٦% من أسرة المستشفيات و ٤٠% من الصيدليات، وأنا أقول له بالفم المليان : إن هذا أقل كثيرا مما يحتاجه سكانها الذين لابد وأن تبذلهم ظروفها التعيسة بكافة الأمراض العضوية والعصبية والعقلية .

ويزعم أستاذ التخطيط أن ٧٣% من فرص العمل بالقطاعين العام والخاص على مستوى الجمهورية كلها تتركز في القاهرة، وهو رقم خرافي بالفعل، ولابد أن يصيب أى مواطن آخر خارج القاهرة بارتفاع في ضغط الدم . ولكنه لو تمنع قليلا ونظر حوله لأدرك أن ٧٠% من هؤلاء العاملين يهيمنون على وجوههم في شوارع العاصمة وميادينها ولا يصل حجم الإنتاج والإنجاز الذى يؤدونه ويرضى الله سوى عشر طاقتهم .

فهل نتعجب إذا كانت القاهرة تحمل ٢٥% من جملة سكان مصر، وأن ٧٠% زيادة سكانية سنويا تهددها بأن تتحول إلى أزحم مدينة في العالم !

من الظلم الفادح أن نترك أبناء القاهرة يتمتعون بتلك النسبة العالية من التلوث في الجو التى جعلت اليونكسو يهدد بأن يعلنها مدينة مغلقة ..

إننا ندعو كل سكان مصر أكثر من ستين مليونا
إلى أن يأتوا للعاصمة، ويرزحوا فوق أنفاس المسئولين عنها،
ليعلنوا على الملأ أنهم ليسوا أقل عشقا لزلط القاهرة من
وزرائها .

ونقول للسيد الأستاذ شريف سعد الدين على لسان
القاهرة العامرة جدا جدا : أرجوك أوعى تغير .. وأنا حواليا
كثير .. دى المسألة إحساس .. مش عاوزه تفكير .. أوعى ..
أوعى ..

تناحة .. وكلاحة !

لا يستطيع أحد أن ينكر أن بمصر الآن ديمقراطية . فوقائع الجلسة التاريخية التي تمت يوم السبت الماضى تثبت أن برلمان مصر لا يقل شجاعة وجسارة عن البرلمان الإيطالى الذى خلعت فيه إحدى النائبات ملابسها ووقفت عارية تماما احتجاجا على تصرفات الحكومة، ولأعن برلمان اليابان أو إسرائيل اللذين كثيرا ما انتقلت أعصاب أعضائهما فينهالون ضربا ولكما لبعضهم البعض .

والحق أن ما يحدث فى مصر الآن يفوق فى لا معقوليته كل ما جرى فى تلك البلاد الديمقراطية، إلا أن هذا لا يعطى الحق لنوابنا الموقرين فى توجيه اللوم إلى وزرائنا المعصومين، وخاصة الوزير المهندس حسب الله بعضشى الشهير بالكفراوى . وصحيح أن التهم الجسيمة التى وجهها النائب محمد السنديونى لوزير الإسكان والهجرة كانت كفيلة بأن تسقط وزارته فوراً، إلا أن مثل هذا التصرف لو حدث كان سيحرم الشعب المصرى من عبقرية فذة قد لايجود الزمان بمثلا . ومهما فعل بعضشى فلا بد أن نذكر له انه حصل على جائزة عالمية فى الأمم المتحدة منذ شهور قليلة، وأنه عندما منح هذه الجائزة فإن الدكتور بطرس غالى، سكرتير عام الأمم المتحدة، قد أرسل له فى الهواء قبلتين . ويشيع الخبثاء أن القبة الأولى كانت

فضفضة

لأنه ضحك على أصحاب الجائزة وأوهمهم أن مصر لم تعد تعاني من أية مشكلات في الإسكان، أما القبة الثانية فلأنه ضحك على فقراء مصر فباع لهم الترام على أنه شقق سكنية .

والواقع أن الوزير الكفراوى بعضشى قد نال الجائزة عن جدارة . فهو أول مهندس فى التاريخ يبتدع فكرة إنشاء مدن سكنية بلا مرافق .. أى بلا صرف صحى ولا مياه ولا كهرباء .. وهو أول وزير يستدين المليارات بحجة بناء مساكن للفقراء، ثم ينفقها على بناء فيلات فاخرة لفك العقد النفسية لهوانم مصر وبهواتها ..

ولذلك كان من التناحة والكلاحة فعلا أن يقدم نائب بمجلس الشعب استجوابا لوزير أصبحت سنوات اعتلائه عرش الإسكان بمصر تقترب من ربع القرن . الأمر الذى يدل دلالة قاطعة على أنه لايمكن أن يخطئ، أو أنه أخطأ خطأ فاحشا فقررت الحكومات المتعاقبة تنفيذ حكم بالمؤبد عليه، وربطه بالإسكان إلى أن يلفظ أحدهما أنفاسه الأخيرة ..

لقد وصف الكفراوى بعضشى مجلسنا الشعبى الموقر بالتناحة والكلاحة، وكان معه الحق، لأنهم تجاوزوا دورهم، وتصوروا أن نائب مجلس الشعب يمكن أن يفعل شيئا آخر بخلاف التصفيق على كل بيانات الحكومة وأخطائها وكوارثها . لقد أنفق الكفراوى عقدين

من الزمان يبني لأبناء مصر مدنا جديدة يعمرونها، وهاجر فى عصره السعيد نصف سكان الأقاليم ليعيشوا فى تلك المدن التى اختصت القاهرة وما حولها بأغلبها . وما يشاع عن أن بعض منازل تلك المدن تشققت جدرانه قبل أن تطأها قدم صحيح، ولكن السبب فى ذلك ليس فساد ذمم مقاولى الحكومة وموت ضماير بعض موظفيها، وإنما السبب عين الحسود التى يقال إنها تغلق الحجر . والحسود بالطبع هم أمثال النائب محمد السنديونى الذى لم يكن فى قائمة المعارف والمحاسبين فلم يحظ بوحدة من تلك الفيلات الأنيقة التى كلفت الحكومة مائة وثلاثين ألفا من الجنيهات لتبنيها بأحد عشر ألفا فقط لفاطمة وخديجة وجماليات ..

ويبدو أن النائب السنديونى من أعداء المرأة لأن القائمة الطويلة المدعمة بالوثائق والمستندات التى أفحم بها وزير إسكاننا المؤبد كان أغلبها من السيدات ولاشك أن هناك قوائم أخرى من التوزيع الدكاكينى على المحظوظين والمحظوظات، لو نشرت بالجرائد لكانت فضيحة بجلال ولسقطت وزارات ..

ولكن هذه هى الديمقراطية على الطريقة المصرية، ولسوف يمر الاستجواب مرور الكرام ويتصافح الطرفان وصافى يالين، ويبقى الحال على ما هو عليه وعلى المتضرر، الذى هو الأغلبية

فضفضة

الساحقة من الشعب المصرى، للجوء إلى الله .. فالشكوى لغير الله
مرمطة وبهدلة وتضييع وقت، ولذلك أضمت صوتى للوزير الكفراوى
بعضشى وأقول لعضو مجلس الشعب محمد السنديونى، مافعلته
خروج عن العرف، وهو لأمؤاخذه، تناحة وكلاحة فعلا، بل وعلى
حد قول الوزير الإسكانى "فجر" وأقل ما نستحقه أن ينفذ تهديده فعلا
ويستقيل ثم يعتزل المجتمع كله، وساعتها من أين سنأتى بمهندس
عبرى آخر . نحتاس معه لمدة سبعة عشر عاما أخرى، ثم نخرج
بمصر التى يسكن أغلب فقرائها فى عشش من الصفيح وماوى
وبيوت بلا ماء ولا صرف صحى ولا كهرباء !!..

وفى الأسبوع القادم سأحكى لكم حكاية مصرى آخر من
ناكرى الجميل، الذى يسعى بكل همة للحصول على ترام الكفراوى،
أقصد واحدة من شققه، لكى ندعم كلام النائب السنديونى بمثل حى،
وندعو الله سبحانه وتعالى ألا يحرمننا من الكفراوى وأمثاله .. اللهم
اجعل كلامنا خفيفا عليهم ..

دوخيني يا المونة

يقول المثل العامى : "ليه اللي صبرك على المر، قلت اللي أمر منه .." والمر العلقم فى حياتنا منذ زلزال أكتوبر التعيس هو مئات العمارات والبيوت الصغيرة المهددة بمصير عمارة ميدان الحجاز .. أما الأمر فهو اضطرار بعض الأسر إلى سكنى تلك العمارات والتشبث بشققهم فيها بعد أن أعيتهم الحيل فى البحث عن أماكن إيواء أخرى ..

لقد أصبح هؤلاء كالغرقى يتشبث بسفينة تغوص إلى الأعماق . والسبب فى ذلك ليس أننا شعب يهوى الانتحار، وإنما لأننا نتعامى عن الحقيقة مع أنها واضحة كالشمس .

والحقيقة أننا لدينا أعظم وزارة إسكان وأقدم وزير إسكان على ظهر الكرة الأرضية .. ومن عادتنا السيئة أن نبحث عن كبش فداء، لنحمله أوزارنا ونعتبره شماعة نعلق عليها أخطاينا وصحيح أننا أصبحنا نحمل رقما قياسيا فى عدد العمارات التى انهارت والتى سوف تنهار بساكنيها إلا أن ذلك ليس من مسئولية وزارة الإسكان، ولكنها مسئولية بناء تلك العمارات الذين لم يراعوا ضمائرهم ولم يخشوا ربهم وبنوها من القش فطارت مع أول زلزال .

أما المسئول الثانى عن تلك الكارثة بعد الزلزال فهم سكان تلك العمارات الذين يرفضون أن يغادروها على أساس أن العمر واحد والرب واحد وأن لكل أجل كتاب وأن الموت فى بيوتهم أهون كثيرا من رحلة الأهوال التى مروا بها للحصول على شقة من شقق الإسكان .

من هؤلاء الصديق المخرج السينمائى علاء كريم، الذى حصل على شهادة فى الإخراج من الولايات المتحدة ولكنه أثر أن يعود إلى بلده ويعمل ويستقر به .. وعلى الرغم من حصول المخرج على جوائز واعتباره من الأسماء الواعدة فى السينما العربية، إلا أن الزلزال لم يرحمه، فذاهم البيت الذى ولد وعاش فيه ومازال يسكنه إلى اليوم مع زوجته وابنه .. وهكذا أصبح المخرج السينمائى مهتدا بالتشرد، وتحول فجأة إلى واحد من بين مئات الآلاف الذين يصطفون فى طوابير أمام مقار الأحياء والحزب الوطنى والمحافظه ومديرية الإسكان .. الخ .

وكانما القدر أراد له أن يكون بطلا لفيلم تسجيلى عن محنة المواطن المصرى فى البحث عن مأوى، وجد المخرج السينمائى نفسه لا يفكر فى شئ ولا يفعل شيئا سوى القيام بمشاوير يومية مهلكة والدوران كالمكوك ما بين مكتب هذا المسئول وذاك الموظف.

وحتى لا يزعم احد أن الحكومة تتوانى فى أداء واجباتها أرسل حى السيدة زينب إلى العقار المهذب بست لجان . قالت اللجنة الأولى بضرورة إزالة الدورين العلويين، ثم أفتت لجنة ثانية بإزالة العقار كله، وجاءت لجنة ثالثة لتشير بإزالة ثلاثة أدوار ولجنة رابعة أشارت بإزالة أربعة أدوار ولجنة خامسة رأت أنه لابد من إزالة دور واحد، أما اللجنة السادسة فقد ناقضت الجميع وقررت أن العقار فى حاجة إلى ترميم فقط .

وبعد أن قام المسئولون بعملية "حادى بادهى سيدة محمد البغداده" وقع الاختيار أخيرا على اللجنة القائلة بإزالة دورين من العقار .

ولو كنا فى المريخ لانتحر سكان العمارة جميعهم، لأن مثل هذه البلبلة لا يمكن أن تطمئنهم على حياتهم . ولكن لأننا فى مصر وكم فى مصر من المضحكات المبكيات كما قال المتنبى فقد مسلم السكان أمرهم لله ولهى السيدة زينب . وبعد أن عاشوا شهرا كاملا على أعصابهم وصل خطاب من الحى يفيد بأحقية سكان الدورين المشار بإزالتهما فى شقق الإسكان . ولأن موظفينا الحكوميين أصبحوا يدمنون المسلمات اللبطينة مثل "الجسور والجميلة" فقد بدأوا مع علاء كريم مسلسلا أشد إثارة وأكثر بطئا . عشرات المشاوير

التي أذابت نعلى حذائين لكى يستلم خطابا من الحى بأنه متضرر، ثم خطابا آخر من الحزب الوطنى يحدد موعد الحصول على الشقة، ثم خطابا ثالثا من الإسكان لتحديد الهضبة الوسطى وخطابا رابعا بعنوان الشقة .. الخ .

مرت أكثر من ثلاثة شهور ومازال بطل مسلسل دوخينى بالمونة عاجزا عن استلام الشقة المخصصة له فى الهضبة الوسطى للمقطم، والسبب أن بيوت تلك المنطقة التى انتهى بناؤها منذ خمس سنوات ليس بها مواسير مياه ولا صرف صحى !!

وهذه ليست تشذبة ولا هى نكتة سخيفة وإنما حقيقة على كل من يتشكك فى صحتها أن يذهب إلى هناك ليشاهد على الطبيعة "معجزة" تقب الحوائط وتمرير المواسير ونحت الصخور لتصحيح ذلك الخطأ العجيب ..

واكتشف المخرج السينمائى أن شهاب الدين أسوأ من أخيه، فالشق التى تقدم للمتضررين من الزلزال أصابتها الشروخ هى أيضا، ومن قبل أن تطأها قدم، ولكن المقاولين الشطار ضحكوا على الحكومة وأخفوا بسرعة التصدعات والشروخ !!

وهكذا أصبح عليه أن يختار مثل الآلاف من المصريين
ما بين المر والذي أمر منه ..

وبعد أن أمضى تسعين يوما أو أكثر يبيت مع أسرته في
ضيافة بعض الأهل أو في فندق أو في سيارته قرر أخيرا، وبكل
شجاعة، أن يعود إلى بيته في شارع محمد عنایت بالسيدة زينب،
البيت الذي أمضى فيه طفولته وشبابه وأنفق على شقته فيه أكثر من
خمسة عشر ألف جنيه ديكرات داخلية وصيانة .

هذه حالة من مئات الآلاف . ولا تتعجبوا لماذا يتشبث سكان
العمارات المهددة بشققهم فيها واهتفوا مع المهندس حسب الله
الكفراوي تحيا مصر ..

حضرة البية الزبال

قديمًا أنتجت السينما المصرية فيلما عنوانه : "انتبهوا أيها السادة" أراد كاتبه ومخرجه أن ينبه لحقيقة هامة وهى أن أقل المهن شأنًا فى نظرهما يكسب صاحبها أضعاف ما يعطى كأجر ثابت لخريج الجامعة .

وتمضى الأيام ليتعلم أبناء المدن المصرية درسا قاسيا وهى أن مهنة جمع القمامة لا تقل أهمية وشرفا عن أى مهنة أخرى .. والدليل على ذلك أكوام الزباله التى تطلع لنا ألسنتها على جانبي كل شارع، وكل حارة فى مصر ..

ولأن الإسكندرية هى العاصمة الثانية لمصر، فإن القائمين على أمرها كثيرا ما يدخلون فى منافسة غير شريفة مع كل ما تتمتع به العاصمة العامرة جدا من أهوال ..

وإحدى المزايا التى تتفرد بها عاصمتنا العامرة : القذارة، ليس هذا فحسب، بل والإصرار عليها .

وكما تفرق الدول الكبرى ورببيتها الأمم المتحدة بين الشعوب والحكومات، تفرق محافظة الإسكندرية بين شوارع الثغر وشواطئه.. فشركة كبرى للنظافة تتولى نظافة الشواطئ، أما الكورنيش وكل

الشوارع "فلها الله .. والعوض على الله" .. وهكذا صارت الإسكندرية رمزا حيا وتنفيذا صادقا للمثل القائل : "من بوه الله الله .. ومن جوه يعلم الله" ..

وعلى كل ناكر لهذا الأمر أن يذهب بدعوة منى إلى منطقة ملك حفنى وهى على بعد تسعمائة متر فقط من شاطئ سيدى بشر، لكى يرى الطبيعة البكر على أصولها .. ماعز ترتع فى كل مكلن .. "مجارى" طافحة، جبال من الزباله .. أسراب من الذباب .. إلخ .

هذه واحدة من العديد من المناطق العشوائية التى تنافس "غرب القاهرة السياحية" فى إمكانية جذبها للسياح ذوى الكاميرات الحديثة، والعيون الثاقبة ..

وهى تربض بالقرب من منطقة ميامى الأنيقة، لا يفصل بينهما سوى خطوط السكك الحديدية .

وقد كان بعض ذوى الأحلام المستحيلة قد تمنوا أن يشق وسط تلك المنطقة شارع يصل ما بين طريق إسكندرية الزراعى والمعمورة، ويمكن أن يوفر ساعة كاملة على القادمين إلى المعمورة ..

ولكن من الواضح أن المسؤولين عن الثغر كانوا أبعد نظرا، فأهملوا المنطقة برمتها، وتظاهروا كما سبق وأن تظاهرت القلهرة العامرة بعدم وجودها على الخريطة، هذا على الرغم من محاولة تجرى منذ ثلاث سنوات لحفر نفق من ميدان ميامى إلى الطريق الزراعى ..

ولكن فى العجلة الندامة، ويمكن للمصيفين أن ينتظروا لعدة مواسم أخرى، ولأبناء المنطقة أن ينتظروا إلى الأبد . وهم لن يتألموا على أى حال، لأن الفرق بين منطقتهم ومناطق أخرى عديدة بالإسكندرية ليس مهولا .

فمنذ عدة سنوات قامت فى الإسكندرية ثورة إدارية، طرد على إثرها الزبالون من أغلب شوارع الثغر، وقررت الحكومة هناك أن تصبح هى الزبال الأول والأخير .. عين موظفون على درجة زبال أول، وزبال ثان، وقائمقام زبال .. إلخ .. وخصصت سيارات نقل حكومية لحمل الزبالة من الأحياء .. واستمتع الإسكندريون بمتابعة حضرة البيه الزبال وهو يجمع القمامة بكل إباء وشمم، وحضرة الباشزبال وهو يفتش عليه . وتكملة لمسلسل "الجميلة والزبال" قبلنا هدية متواضعة من الدولة التى كانت عظمى بريطانيا عبارة عن مصنع لتحويل الزبالة إلى سماد، وأعلننا على الملأ النجاح الساحق،

لذلك المصنع الذى أنتج بالفعل سمادا طبيعيا ممتازا لإصلاح
الأراضى البور ..

ثم هوب . اخفى كل هذا .. صارت شوارع الاسكندرية
تنتشق على رؤية زبال واحد، أو عربة جمع وحمل قمامة ..
واستطاعت بعض الأحياء الراقية مثل زيزينيا أن تستغل نفوذ
سكانها وتعيد الزبال الحقيقى للعمل بها .

والآن وقد أصبحت الإسكندرية تنتج ولا فخر خمسمائة
متر مكعب من الزباله، ما زال المصنع اليتيم الوحيد يعمل وحده،
وطاقته عشر هذه الكمية فقط .. وما زالت سيارات الحكومة بكل
قلاطه تتعطف وتطوف بالأحياء مرة كل شهرين، وما زال حضرة
البيه الزبال يتمنع ويتأفف من أداء وظيفته الأساسية، ويتطلع لأن
يرتقى إلى منصب قائمقام زبال .. أو أن يصبح ذات يوم السيد
الوزير المستشار المحافظ للزبال !..

وفى انتظار نهاية المسلسل ..

أهلاً .. يا عقلاء !

باق من الزمن أسابيع قليلة وتعلن مصر على الملأ أنها بلد عاقل مائة في المائة، ليس به مجنون ولا متخلف عقلي ولا مريض نفسى واحد ..

ولن تعلن مصر ذلك شفاهة بل عمليا بأن تغلق وتصفى كل مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية بها .. وهما عد غمك يا جحا- مستشفى الخانكة بالقليوبية ومستشفى العباسية بالقاهرة ..

إلى هذا المستشفى وذلك كانت العائلات المصرية تصدر آلاف المجانين، حيث تتولى الدولة إخفاءهم عن العيون فى أبنية تحيط بها مئات الفدادين حتى لا يصيبوا أحدا بضرر . وقد فاحت مؤخرا رائحة الفساد والإهمال والقسوة فى تلك المستشفيات، حيث كان المصريون الذين فقدوا عقولهم لأسباب خارجة عن إرادتهم يعاملون كالحيوانات ويصابون بالعديد من أمراض سوء التغذية والأمراض المعدية وغيرها، دون أن يتم علاجهم أو تأهيلهم .

وحلا لهذه المشكلة المزمنة المتفاقمة، تفتق ذهن العباقرة من المسؤولين عن فكرة جهنمية .. يتخلصون فيها من المجانين، ويحلون بها مشكلة الإسكان والتعمير فى خبطة واحدة ..

الفكرة سبقتنا بها كل الدول المتقدمة والمتأخرة التي يعنون فيها بأبنائهم المساكين، وقررنا نحن أن نطلق سراحهم ونحررهم من عتق مستشفى الخانكة ومستشفى العباسية، فقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ولا بد أن يخرجوا إلى الحياة ليستمتعوا بعهد الديمقراطية السعيد . ثم إن عددهم حتى إن كان مليوناً من البشر - لن يؤثر كثيراً على جيش المتسولين من المعوقين والمسنين والمتخلفين عقلياً الذين يحتلون أرصفة وأركان كل شوارع مصر بلا استثناء ..

والمأمل لقرار تصفية مستشفيات الأمراض العقلية في مصر لابد أن يشعر بالإعجاب بحكمة وحصافة هؤلاء الذين أصدروه . فالواقع أن عددا لا حصر له من أبناء مصر أصبح الآن يهيم على وجهه في شوارع عاصمتها ومحافظاتها، ولا يبدون على اختلاف كبير عن نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية ..

وانظر حولك في شوارع مصر فسترى من يحدث نفسه بصوت مرتفع وهو سائر وحده، ومن يخطب خطبة عصماء أمام جمهور غير موجود، ومن يقود سيارته كما لو كان في مدينة الملاهي، حيث تدور السيارات في حلقة مفرغة كل منهم لا هدف له سوى تقادى الاصطدام بالآخرين، ومن يستخدم بوق سيارته لسبب الآخرين بدلا من الكلمات التي قد يعاقبه عليها القانون ..و

فضفضة

والأمثلة لا حصر لها، وكلها تدل على أن الأغلبية العظمى من شعب مصر كان لابد أن يقف فى طوابير طويلة أمام تلك المستشفيات للحصول على بطاقة العضوية والإقامة بها ..

إن هدم المستشفيات يحول ملكية الأرض التى أقيمت عليها من وزارة الصحة إلى المحافظات .. أى أن المسؤولين فى محافظة القليوبية لابد أن يسيل لعابهم رغبة فى الأربعمئة فدان التى تحوط مستشفى الخانكة .. والمسئولون فى محافظة القاهرة لابد أن يناموا ويقوموا ويحلموا ليلا ونهارا بالسبعين فدانا التى تحوط مستشفى العباسية .

وتخيل معى عشرات المشاريع التى ستحول تلك الفدادين الخضراء من رئة يتنفس بها عقلاء مصر ومجانيها إلى غابات من الأسمنت ومدن سكنية ببيوت مشروخة وبلا مرافق !..

ومنطق هؤلاء المسؤولين سليم ويتفق تماما مع عصر الانفتاح والرأسمالية الذى نعيشه اليوم .. فكل شئ أصبح سلعة، وكل شبر على أرض مصر لابد أن يباع، حتى وإن بيع لأبنائها أنفسهم، وهذا ما فعلته مدينة ٦ أكتوبر التى خصصت خمسين فدانا لوزارة الصحة لتقيم عليها مستشفى للأمراض العقلية والنفسية، وعلى الرغم من أن المستشفى لم يبن بعد، والأرض خارج عمران المدينة إلا أن رئيس

مجلسها يصر على المطالبة بحق انتفاع يصل إلى ربع مليون جنيه سنويا !!..

إننى أطالب وزارة الصحة بأن تستسلم لتلك القرارات الحكيمة وأن تقوم هى أيضا بتصفية كل مستشفيات مصر وتسريح كل من بها من مرضى ثم هدمها وإقامة مشاريع عمرانية وحضارية فوقها .. إننا بذلك سنتغلب على القنبلة السكانية التى توشك أن تنفجر بمصر، فيموت عدة ملايين من المرضى العقلاء والمجانين بسبب عدم العلاج، ويموت باقى أفراد الشعب المصرى غيظا وغلا .. وبذلك نحل جميع مشاكل مصر بلا استثناء ..

فلاسة .. بفلوسهم ..!

المسؤولون عن التلفزيون يستحقون تهنئة قلبية على برامج رمضان هذا العام . فعلى عكس كل الأعوام السابقة لم يباغتهم رمضان، ولم يفاجأوا به على الأبواب، وإنما استعدوا له بجرعة كثيفة من البرامج "سلق بيض"، وحوارات "طق الحنك" والمسابقات والمكسرات والذي منه ..

والسبب الثانى والأهم بالنسبة لنا هو أنهم أفرجوا أخيراً عن الشعب المصرى، وحرروه من السلاسل الحربية التى كانت تقوده إلى المسلسلات الرائعة أمثال ليالى الحلمية ورأفت الهجان والإمام الطبرى ودموع فى عيون وقحة والشهد والدموع وغيرها ..

لم يستطع جيش الغزاة الرأسماليون الذى انقض على برامج الحوارات التلفزيونية أن يكتسب أذنا صاغية واحدة باستثناء العائلة الكريمة وبعض الأهل والخلان .. فكانت فرصة ذهبية كلما طل علينا عبقري رأسمالى بطلعته البهية أدركنا الروموت كونترول فوراً وبحثنا لأنفسنا عن مهرب فى القنوات الأخرى .

لقد فاتنى سيل المواعظ والحكم والآراء العبقريّة الذى أغرقنا به تلفزيوننا الهمام عن طريق استضافة ناس يدفعون بالعملية

الصعبة، وتتسلل إلينا إعلاناتهم عن بضائعهم ومصانعهم بين سطور مغامراتهم وحكاياتهم الطريفة ..

وأعترف لرجال الأعمال، فهروبي من برامجهم ليس لأننى اشتراكية والعياذ بالله ولا لأننى ضد مسيرة الخصخصة التى تجرى بكل همة عكس كل شئ فى الدولة .. ولا لأننى ضد الانفتاح مهما كان على "البهلى" .

وأيضا ليس لأن مهم ثقيل أو لا يجيدون الكلام أو يفتقدون وسامة نجوم الفن والأدب والصحافة .. فالواقع أن الأزياء الغالية والكرافات آخر موديل كانت تكاد تنفج عيوننا بل كدنا نتشم البارفانات الباريسية الغالية ..

وعلى الرغم من ذلك كله لم أستطع أن أتابع حديثا واحدا لأى منهم .. والسبب المباشر وراء ذلك إحساس بأن هذا الزائر الذى عرضه التلفزيون على، إنما جلس فى هذا المكان بفلوسه !..

وبفلوسه فقط يريد أن يشتري أننى، وبفلوسه يريد أن يحتل عقلى وبفلوسه يريد أن يغير مفاهيمى عن الحياة !..

لقد رفضت داخليا تلك الصفقة .. رفضت ومعى الآلاف وربما الملايين تلك البرامج المدفوعة التى تفرض علينا

الابنة والزوجة وصاحب رأس المال ليوجهونا ويعلمونا ويغزغزونا
ويستعرضوا علينا مواهبهم ..

وعلى الرغم من أن المقرر للتليفزيونى لم يتغير منذ عشرين
عاما أو يزيد وأن البرامج المقدسة مازالت ثابتة إلا أن المشاهد هو
الذى تغير على ما يبدو ..

شئ من الملل أصابنا جميعا ورحنا ننتعاب ونحن نتابع
تقصيعات شيريهان ووسطها المخلوع وصوتها المتحشرج . ولأننا
من عشاق أشعار سيد حجاب، شعرنا بالحزن العميق وكلماته الحلوة
تغثال على لسان الغندورة وتسررب المعانى من بين أسنانها اللولوى
فتضيق فى الهواء، وتتحول إلى رطانة غير مفهومة على الإطلاق ..

أما الفرسان الثلاثة الغلاية الذين بصاحبونها فى الحلقات، فقد
عجزنا تماما عن فهم الغرض من وجودهم، وقيل إن "الغندورة"
حلفت برأس جدتها ألا تستمر فى "إيداع" الحلقات إذا استمر التركيز
على دور هؤلاء الفرسان . ولأن أحدا لا يجرؤ على تصور رمضان
بلا فوازير، وفوازير بلا شيريهان فقد أجيب "موشو" إلى طلباتها
جميعا وتقلص دور الثلاثى، وأصبحت الفوازير كماء القاهرة لا طعم
ولا لون ولا رائحة .

وفى مسلسل "المخرج عاوز كده" أهدر المخرج والمعد وضيقهما فرصة ذهبية لبرنامج كوميدى من الطراز الأول . لقد لبسوا فكرة قديمة ملابس جديدة ولكنها سرعان ما تهللت وبانت الحقيقة .. ولم ينقذهم وجود المخرج الكبير صلاح أبوسيف من ضياع الفرص .. لقد اتفقوا أغلب الوقت الذى اشتروه بفلوسهم أيضا فى الثرثرة مع بعض والتهريج وإظهار خفة الدم .

لم يفلت من حصار الخصخصة والاستسهال التليفزيونى سوى مسلسل "بوابة الحلوانى" الذى أذهلنا فيه المؤلف محفوظ عبدالرحمن والمخرج إبراهيم الصحن بتلك التفاصيل الدقيقة لفترة من تاريخ مصر، وذلك الأداء الراقى لجميع الممثلين بلا استثناء وهذا الجو الأنيق المعطر بالفكر والعمق والإتقان .. والمسلسل رائع رائع يغفر للتليفزيون المصرى كل خطاياهم .. ماعدا الخصخصة ..

مؤامرة فى سيناء

إلى من يهيمه الأمر أود أن أبلغ عن مؤامرة رهيبة يحكيها فى الظلام أكثر من ربع مليون مواطن مصرى فى سيناء، ويقودها اللواء منير شاش محافظ سيناء، وكل قياداتها المحلية .

إنها مؤامرة على الصحراء، وعلى اللون الأصفر، وعلى الجوع والعطش ومد اليد لتلقى العون ممن يسوى ولا يسواش، إنهم يطبقون هناك مبدأ حمارتك العرجاء ولا سؤال اللثيم ..

والمشكلة أنهم تركونا نتوهم أن سيناء حمارة عرجاء، بينما اكتشفوا هم أنها كنز لا يفنى، ومغارة أجدع من مغارة على بابا، تكدست فيها ثروات بشرية ومعدنية لو وزعت على مصر كلها لأخرجتها من أزمتها، وحولت خزائنها إلى بنك يستدين منه صندوق النقد الدولى نفسه .

أدعوك لأن تسير ساعة واحدة تحت شمس سيناء القاسية كى تصاب بضربة شمس وتدرك أن ما فعله أبناء مصر فى سيناء كان ولا يزال معجزة من إرادة الخالق وصنع البشر .

فضفضة

وستشعر بالغیظ وأنت ترى ابن سیناء یسیر رافع الرأس
متحدیا القیظ، محتضنا بقلبه وعیونه آلاف الفدلايين التى زرعها
بسواعده على الرغم من قلة المياه وضعف الإمكانيات .

ستستاءل فى دهشة عن السر الذى حول أبناء سیناء من بدو
إلى مزارعين، ومن قبائل رحل إلى مجتمعات مستقرة !..

هذه المؤامرة الخطيرة فضحتنا جميعا .

أبناء الوادى الذين هجروا أراضيهم الخصبة ونبذوا الزراعة
وصاروا يتقاطرون بالآلاف على العاصمة ليزيدوها ازدحاما
وارتباكا، ويمارسوا فيها مهنا طفيلية، وبحولوا أغلب مساحتها إلى
عزب عشوائية غاية فى القبح والقذارة ..

ونحن سكان القاهرة الذين يتسابقون فى تدمير الأرض
المزروعة، ليجولوها إلى غابات من الأسمنت، ثم يركعون أمام
صندوق النقد الدولى ليستكينوا مالا ليستوردوا به غذاءهم لليومى ..

المؤامرة التى حاكها المصرى فى سیناء فضحت إمكانيات
مصر، فهى بلد غنية تستطيع لو أرادت أن تصبح دولة عظمى،
وأبناؤها يمتلكون من العزيمة والإصرار ما يجعلهم يتحدون أعلى

فضفضة

المؤامرة . رحنا نبحت عن المعالم القديمة من خيام وعشش صفيح، ومساحات شاسعة من الصحراء الجرداء، فإذا بنا لا نجد سوى الفيلات الأنيقة التى تتوسط مزارع شاسعة والمجتمعات السكنية على أحدث طراز .

وأتوقع بعد سنوات قليلة أن يختفى اللون الأصفر تماماً، فالحماس فى قلوب السيناوية معد، وسوف يتمايقون جميعاً لتحقيق الآية الشريفة ﴿ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْكَلِيلِ ﴾ (الآية ٢٠ من سورة المؤمنون) .

لذا اقترحت على اللواء منير شاش وقيادات سيناء الشمالية أن يغيروا خلفية علم سيناء المحلى من اللون الأصفر إلى الأخضر، وأن يحتفظوا بقطعة أرض صحراوية، فوقها بعض الخيام، لكى تصبح مزاراً للمسيح فى المستقبل القريب، ليروا كيف كان البدوى يعيش قبل عام ١٩٨٢، عام تحرير سيناء ليس فقط من المستعمر، وإنما من الفكر المتخلف العتيق .

وأدعو كل من يستطيع من المصريين أن يتوجه لزيارة الساحل الشمالى فى سيناء، وأن يسأل عن قرية الشيخ زويد، وأن يتوقف قليلاً لأخذ صورة تذكارية مع عائلته فى مكان مرتفع يطل على مساحة شاسعة من الخضرة الكثيفة يسمونها بانوراما الشيخ

وأدعو كل من يستطيع من المصريين أن يتوجه لزيارة الساحل الشمالى فى سيناء، وأن يسأل عن قرية الشيخ زويد، وأن يتوقف قليلا لأخذ صورة تذكارية مع عائلته فى مكان مرتفع يطل على مساحة شاسعة من الخضرة الكثيفة يسمونها بانوراما الشيخ زويد ..

يستطيع بعدها أن "يفشر" على أصدقائه ويزعم أنه كان يقضى العطلة فى سويسرا .. وليس فى مكان مصرى مائة فى المائة كان منذ سنوات قليلة جدا خاليا من أى خضرة .. وامسكوا الخشب .. وادعوا الله معى أن تنتفى فى أرض مصر مؤامرات من هذا النوع لنقضى على اليأس والتخلف وكل بذور الإرهاب ..

جيتك يا عبدالمعين

مستأجر طيب وعلى نياته رقصت العمارة التى يقطن بها
"عشرة بلدى" على أنغام زلزال أكتوبر المجيد الذى زلزل القاهرة
بأحيائها الشرعية والعشوائية فى العام الماضى . وبعد وصلة هز
البطن تشققت مفاصل العمارة وأوشكت على الانهيار .

أسرع المستأجر الطيب الذى على نياته إلى رئيس مجلس
الحى ليقدم شكوى بعد أن تذكر أن صاحب العمارة الحالى اشترأها
أربعة أدوار فقط، ثم قام ببناء خمسة أدوار أخرى فوق الأربعة
القديمة فى عز معمة مهرجان "خالف تعرف" الذى بدأ فى عام
سبعين واختتم لياليه فى أواخر الثمانينيات .

طالب المستأجر الطيب رئيس الحى بإعطائه صورة من
الترخيص الأصلى للعمارة عند بنائها عام ١٩٦٩، ليعرف هل كانت
الأساسات والأعمدة والترخيص المنصرف لصاحب وبانى العمارة
بأربعة أدوار فقط أم أكثر .. وهو طلب منطقى وبسيط، لو كنا فى
بلاد واق الواق لقام المهندس إلى "شانون" على يمينه أو على يساره
وقلب لدقائق معدودة وعاد بصورة من الترخيص من الدوسيه
الخاص بالعمارة ..

ولكن لأننا شعب طيب وابن حلال فقد نصح رئيس الحى
المستأجر الساذج بألا يضيع وقته .. لأن مثل هذا التصريح لو خرج
إلى النور فسيذهب هو وكل مهندس الإسكان بالحى إلى الحديد .
فالواضح للعيان وللبيان أن العمارة مادامت قد تشققت وتقصعت
وتقطعت أنفاسها أنها لم تكن مهيأة للتعلية وأن الأدوار الخمسة
الجديدة مخالفة للمواصفات الفنية ..

وفى بلدنا قانون يدعى رقم ١٠٦ لسنة ٧٦ لتوجيه
وتتظيم أعمال البناء . هذا القانون يعطى الجهة المختصة
بشئون التنظيم "أى الحى" سلطات واسعة لتنفيذ قرارات إزالة
المباني التى أقيمت بدون تراخيص أو المخالفة لشروط
الترخيص بنفسها أو بواسطة من تعهد إليه وتحمل جميع
النفقات على المخالف "أى المالك طبعاً" بطريقة الحجز
الإدارى بعد انقضاء المدة المحددة له ..

هذا كلام جميل ..

ولكن الأجمل منه أن يطبق . والواقع أثبت أنه لم يطبق
فى ٩٠% من الحالات .

فضفضة

ليس بسبب انعدام الضمير وفساد الذمم وحالة التسيب المتفشية في إدارات الأحياء .. ولكن لأننا شعب طيب .. نكره الأذية لبعضنا البعض ..

فعند إبلاغ منطقة الإسكان بالحي عن مبنى مخالف كان المهندسون يطبقون مبدأ الفيلسوف الفرنسي ديكارت : أى الشك طريق لليقين . فإذا تحرك أحدهم أخيراً ليعاين العقار ورأى بعينه مواد ومعدات البناء والعمال طالعين نازلين فإنه كان يكذب عينيه ويستغفر الله لأن سوء الظن من أقوى الفطن .

وصحيح أن مهندس الحى يملك الضبطية القضائية، وواجبه أن يبلغ فوراً عن المخالفة، وبإستطاعته ضبط ومصادرة الآلات والمعدات المستخدمة فى البناء، إلا أن أغلبهم والحق يقال كانوا يتنازلون عن هذا الحق ويظلون قابعين يتابعون المالك المخالف وهو سادر فى غيه عندئذ يهب المهندس مدافعاً عن القانون ليطعن الباطل فى مقتل ويحرر محضر مخالفة !

ويأخذ المحضر رحلة طويلة من مهندس الإسكان إلى نيابة البلدية ومن نيابة البلدية إلى مهندسى الحى لتكليفهم بإثبات مخالفة البناء للأصول الفنية، ويرد المهندسون بأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا

فإذا أراد أن يبقى، عليه أن يتبع قوانين النظام العالمى الجديد
وهى أن المجنى عليه لابد أن يتحمل العقوبة المقررة على الجانى،
أى أن يقوم هو بإصلاح ما أفسده ضمير المالك، على نفقته الخاصة.

فإذا رفض هذا الحل وذاك لم يبق له إلا أن يلجأ إلى
عبدالمعين، أى إدارة الحى الذى يقطن به، ويعتصم بها هو وأهله،
وعليهم أن يرددوا النشيد القومى للإدارة المحلية فى مصر : جبتك
يا عبدالمعين تعنى لقيتك يا عبدالمعين فسدان ..

فضفضة

الموضوع	الصفحة
الفضفضة لماذا ؟!	٧
مقدمة	٩
١- المخدرات والشبهات	١٣
٢- من أجل عيون حورس	١٦
٣- عبقرية "قاف" .. "عين"	١٩
٤- خصصنى يا جدع	٢٢
٥- ديمقراطية "ذكر"	٢٦
٦- بالعربي الفصيح	٢٩
٧- سويسرا تغزو القاهرة	٣٣
٨- الموت غيظا	٣٦
٩- فى صحة النواب	٣٩
١٠- قصاقيص هذا الرجل	٤٣
١١- أكفى ع الخبر ماجور	٤٦
١٢- قول باباسط	٥٠
١٣- الهكسوس الجدد	٥٤
١٤- عبدالمأمور	٥٨
١٥- سحلب فى سفينة نوح	٦٢

- ١٦- فلتحيا المعلمة فضة ----- ٦٦
- ١٧- ممنوع الحب ----- ٧٠
- ١٨- عيب يا جميلة ----- ٧٣
- ١٩- ما عيب إلا العيب ----- ٧٦
- ٢٠- عصر ألف ليلة ----- ٨٠
- ٢١- البعض يفضلونها خواجاية ----- ٨٤
- ٢٢- مصر الأمن والأمان ----- ٨٧
- ٢٣- عاى جداً ----- ٩٠
- ٢٤- العين بالعين ----- ٩٤
- ٢٥- عتاب من سيناء ----- ٩٨
- ٢٦- "بنيلوب" مازالت تنتظر ----- ١٠٢
- ٢٧- شوارعنا .. تأليب وإصلاح ----- ١٠٥
- ٢٨- العدالة العوراء ----- ١٠٨
- ٢٩- الأمن مستتب ----- ١١١
- ٣٠- نحن نكذب ولا نتجمل ----- ١١٤
- ٣١- قرية حائرة ----- ١١٧
- ٣٢- المصريون وأبناء الجارية ----- ١٢٠
- ٣٣- كلماته ستظل حيه إلى الأبد ----- ١٢٣
- ٣٤- الحل فى المطبخ ----- ١٢٦
- ٣٥- تسول .. اسرق أو انتحر ----- ١٢٩

- ٣٦- أدبنى عمر .. وارمىنى فى البحر ----- ١٣٢
- ٣٧- صديقى السفيرة هدى المراسى .. وداعا ----- ١٣٥
- ٣٨- من سول لبرشلونة .. يا قلبى لا تحزن ----- ١٣٩
- ٣٩- الصرب والمريخ ----- ١٤٢
- ٤٠- المحافظ بأمره ----- ١٤٥
- ٤١- مسلسل المهازل المحلية ----- ١٤٩
- ٤٢- نهر السين فى الإسكندرية ----- ١٥٣
- ٤٣- زلزال حبنا ----- ١٥٦
- ٤٤- حمورابى يموت مرة أخرى ----- ١٦٠
- ٤٥- ماجدة والرجال ----- ١٦٤
- ٤٦- الارهاب والعيشة الهباب ----- ١٦٩
- ٤٧- حبيبك يبلعلك الزلط ----- ١٧٣
- ٤٨- تناحة وكلاحة ----- ١٧٧
- ٤٩- دوخينى يا لمونه ----- ١٨١
- ٥٠- حضرة البيه للزبال ----- ١٨٦
- ٥١- أهلا .. يا عقلاء ----- ١٩٠
- ٥٢- فلاسفة بفلوسهم ----- ١٩٤
- ٥٣- مؤامرة فى سيناء ----- ١٩٨
- ٥٤- جبينك يا عبد المعين ----- ٢٠٢

إقبال بركة

الاسم بالكامل : إقبال عبدالحميد مصطفى بركة

العمل الحالى : رئيسة تحرير مجلة حواء (دار الهلال) منذ يونيو ١٩٩٣.

الشهادات العلمية : ليسانس الآداب فى اللغة والأدب الإنجليزى جامعة الإسكندرية (جيد جداً مع مرتبة الشرف) ليسانس الآداب فى اللغة والأدب العربى جامعة القاهرة (جيد جداً) .

الأعمال السابقة : موظفة علاقات عامة بشركة فيليبس

مترجمة فورية

مدرسة لغة إنجليزية بالكويت

مذيعة بالإذاعة الموجهة باللغة الإنجليزية

محررة بمجلة صباح الخير مؤسسة روز اليوسف

الأنشطة الاجتماعية والثقافية الإشراف على احتفالات يوم المرأة العالمى بنقابة الصحفيين والثقافة الجماهيرية .

- مؤسسة جمعية السينمائيات للمصريات وسكرتير عام الجمعية منذ تأسيسها .

- عضو نقابة الصحفيين واتحاد الكتاب وجمعية الكاتبات وجمعية كتاب ونقاد السينما وجمعية التسلح الخلقى ونادى القلم المصرى.

- سافرت إلى العديد من دول العالم للسياحة وللاشتراك في المؤتمرات الدولية والندوات العلمية وإلقاء المحاضرات في الجامعات .

الأعمال الأدبية

١٩٧١	رواية	ولنظل أصدقاء إلى الأبد
١٩٧٥	رواية	الفجر لأول مرة
١٩٨٠	رواية	ليلي والمجهول
١٩٨١	رواية	الصيد في بحر الأوهام
١٩٨٣	رواية	تمساح البحيرة
١٩٨٥	رواية وقصص قصيرة	كلما عاد الربيع
١٩٨٧	حوارات	حوار حول قضايا إسلامية
١٩٨٩	أدب رحلات	رحلة إلى تركيا
١٩٩٣	مجموعة قصص	حادثة اغتصاب
١٩٩٤	قصص قصيرة	يوميات امرأة عاملة
١٩٩٦	مقالات	هي في عيونهم
١٩٩٧	بحث	الحب في صدر الإسلام

الأعمال الفنية

إخراج نادية حمزة	قصة فيلم بحر الأوهام
إخراج د. هشام أبو النصر	قصة فيلم البنات والمجهول
إخراج محمد بسيوني	قصة فيلم قضية الأستاذة عفت
إخراج سيد سعيد	قصة مسلسل تمساح البحيرة
	قصة سهرة الآخرون
إخراج علوية ذكي	قصة سهرة "فتش عن الرجل"
إخراج نور الدمرداش	قصة سهرة الرهينة
إخراج علاء كريم	جواز على ورق سوليفان
إخراج نبهة لطفى	فكرة وسيناريو للفيلم التسجيلي "إلى أين"



هذا الكتاب

المرأة المصرية محبوسة قهرا فى خانة المعارضة .
فتعتبرها أقلية ولا تمديد لمساعدتها على تخطى عوائق
المشاركة السياسية .

فالمرأة المصرية غائبة عن الساحة السياسية وعن صنع
القرار مع سبق الإصرار والترصد .. وبكل أسف هى تشارك
فى هذه الجريمة دون أن تدرك .. تشارك فيها عندما تدير
ظهرها للسياسة مع أن السياسة هى المدرسة والمستشفى
ورغيف العيش والدروس الخصوصية والبيوت التى تهدم
على رؤوس ساكنيها والمواصلات المزحمة ... إلخ .

وها هى "الفضضة" تصدر فى كتاب عن دار قباء
للنشر والطباعة، ولعلها تجد مكانا بين سطور التاريخ لتسجل
أن المرأة المصرية لم تكن أبدا صامتة ولا غافلة عما يجرى
فى بلدها .. وأن قرارها السياسى كان نقلا، وكان حرا،
وكان نزيها مجردا عن الهوى .. ولا
مصر والارتقاء بها، وتضميد جروحها بطريقها
بالزهور والحناء .

أحمد غريب